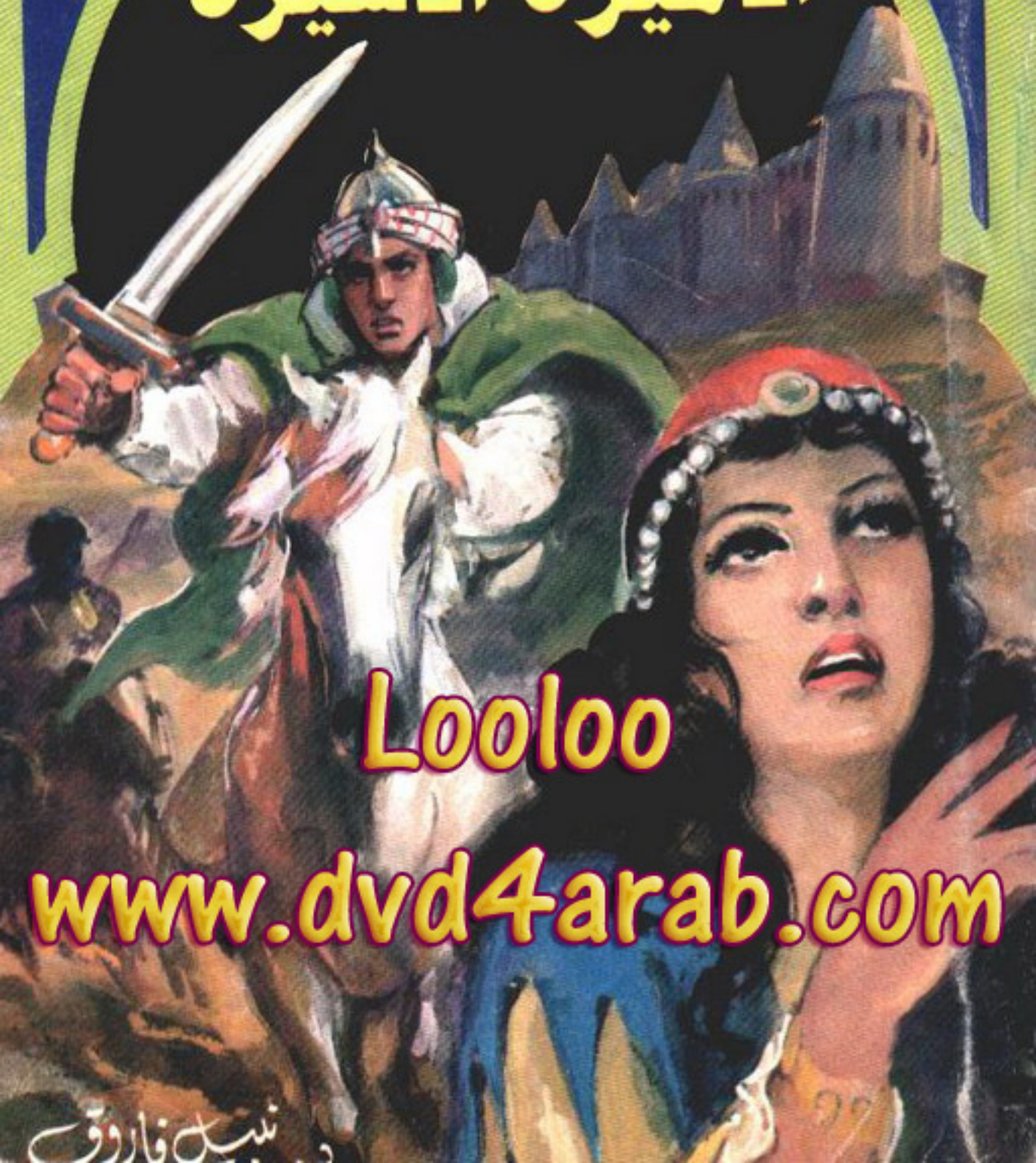


روايات  
مصرية  
للجيب

٢

# فارس الأندلس الأميرة الأسيرة



Looloo

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

نيسل فاروق

## ١ - زائر الفجر ..

تسللت أضواء الشفق الخافتة من المشرق ، لتزيح جزءاً من  
أستار الليل الساكن ، من خلف تلال ( غرناطة ) الخضراء ،  
وربّبت في حنوّ على غيمة صغيرة ، تسبح في سماء ( الأندلس ) ،  
قبل أن تحتضن السماء بذراعين مضيئتين ، معلنة مولد شمس يوم  
جديد ، من أيام العرب في ( الأندلس ) ..

ومن بعيد بدا وقع حوافر جواد يقترب ..  
جواد عربي أشهب قوى ، ازدان بسرج فضي ، يستقرّ فوقه  
فارس ملثم ، يقبض على عنان الجواد بيد حديدية ، ويلكزه  
بكمييه ، في مزيج مدهش من الرفق والحزم ، جعل الجواد يخضع  
له ، ويستجيب لندائه الصامت بالإسراع نحو هدف لاح في  
الأفق ..

نحو معسكر ( فارس ) ..

( فارس الأندلس ) ..

وعلى الرغم من صمته ولثامه ، كانت عينا الفارس تشيان  
بنبل المحتد ، وبشيء غير قليل من القلق والتوتر ، يسرى في  
نفسه ، ويجرى في عروقه مجرى الدم ..

من بين أوراق التاريخ جاء ..

من قلب الحضارة والأمل ظهر ..

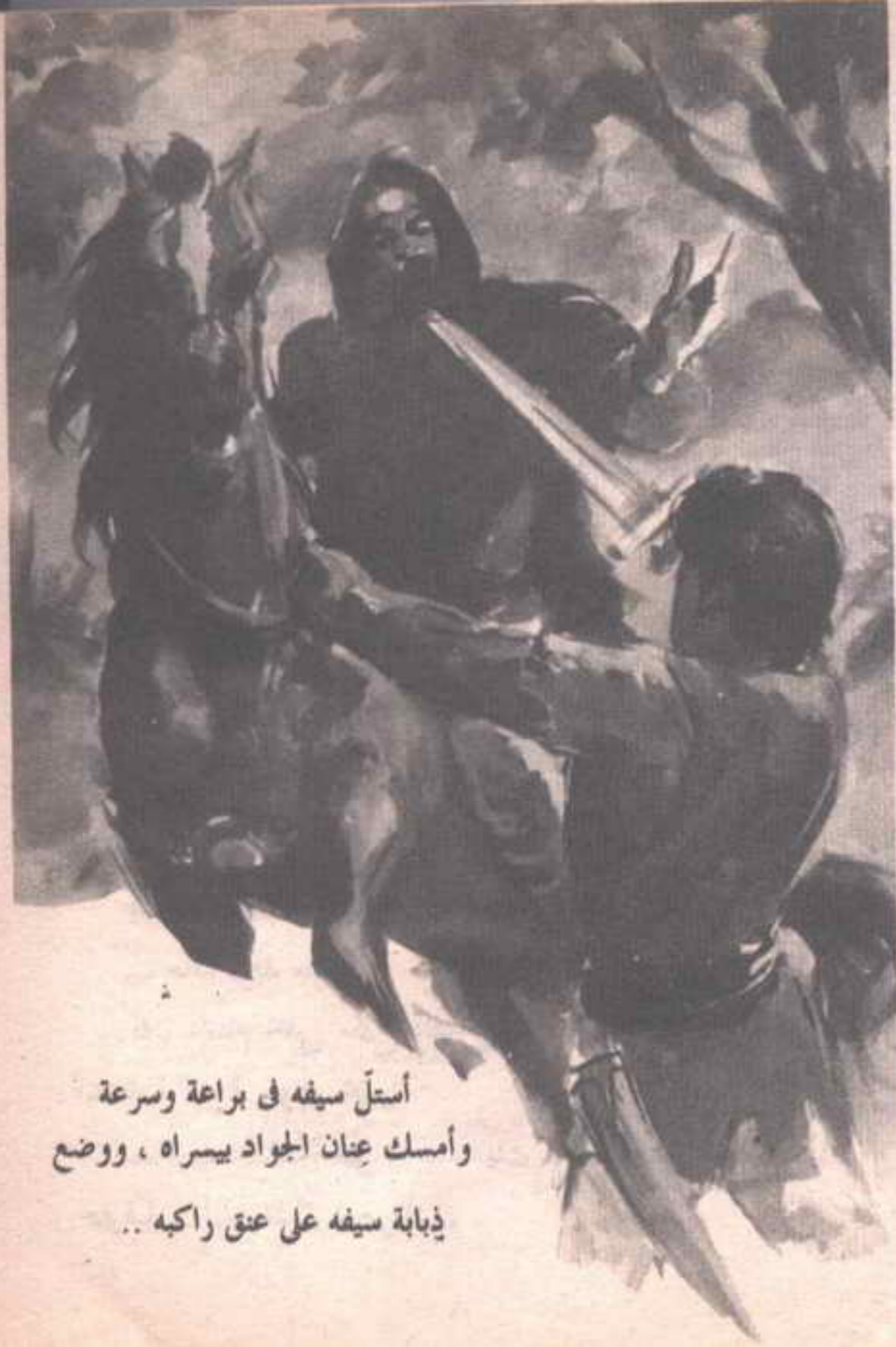
من أجل العدالة والحق كان ..

رمز الماضي والحاضر والمستقبل ..

الفارس ..

فارس الأندلس ..

د. نبيل فاروق



أستل سيفه في براعة وسرعة  
وأمسك عنان الجواد ييسراه ، ووضع  
ذبابه سيفه على عنق راكبه ..

ولم يكد ذلك الفارس يلمح المعسكر ، حتى زاد من سرعة  
لكزه لباطن جواده ، مستحثًا إياه على الإسراع ، فانطلق الجواد  
العربي الأصيل ينهب الأرض نحو الهدف ، إلى أن تجاوز سوار  
الأشجار العالية ، المحيط بخيام المعسكر الثالث ، فانخفضت  
سرعته ، وتوقف ممتثلًا لجذبة عنان من فارسه ، وراح يضرب  
الأرض بحافريه الأماميين في رفق ، في حين تنهد الفارس على  
متمه ، وغمغم في خفوت شديد :

— أتعثم أن يكون من أبحث عنه هنا .

انبعث من فوقه صوت صارم ، يقول :

— هذا يتوقف على طبيعة من تبحث عنه .

وفي لمح البصر ، وقبل أن يتحرك الفارس ، هبط من فوق  
الشجرة التي تجاوره شاب قوى ، مفتول الساعدين ، عريض  
المنكبين ، وسيم الملامح ، لم تكد قدماه تستقران أرضًا ، إلى جوار  
الحصان وصاحبه ، حتى استل سيفه في براعة وسرعة ،  
وأمسك عنان الجواد ييسراه ، ووضع ذبابه سيفه على عنق  
راكبه ، مستطرذا في حزم :

— ويتوقف أيضًا على جواب سؤال حاسم .. من أنت ؟

على الرغم من المفاجأة وعنفا الاستقبال ..

وعلى الرغم من سهيل الجواد ، الذي بوغت بذلك الذي  
انقضّ عليه من السماء ، فرفع قائمته ، وضرب بهما الهواء  
لحظة ، إلا أن راكبه لم يبد دهشة أو ذعرا ، وإنما تألقت عيناه  
ببريق اهتمام ونشوة ، وهو يلتفت إلى الشاب ، ويسأله في  
هدوء :

— أنت ( فارس ) ؟

لم يرق هذا ل ( فارس ) ، الذي يفضل عادة الحصول على  
جواب لسؤاله ، فقال في غلظة صارمة :

— سألتك أولاً من أنت ؟

تجاهل الفارس ذلك السؤال للمرة الثانية ، وهو يقول  
بلهجة حملت نبرة أمرة ، توحى بأن صاحبها قد اعتاد إلقاء  
الأوامر طيلة عمره :

— أين الشيخ ؟

ضاعف هذا من ضيق ( فارس ) ، فقال في حدة :

— ماذا تريد منه ؟

كان اللثام يخفي ملامح الفارس تماماً ، إلا أن عينيه حملتا  
ابتسامة كبيرة ، وهو يجيب :

— أريد أن أهنئه على ما صنعه بك ؛ فلقد جعل منك فارساً

حقيقياً .. إنك تذكرني بوالدك

لقد طرق الفارس ذلك الناقوس ، الذي يلهب ( فارس )  
دائماً .

والده ..

ذلك الوالد ، الذي يجهل عنه ( فارس ) كل شيء تقريباً ،  
إلا أنه يشبهه ..

وبكل لهفته ، سأله ( فارس ) :

— هل عرفت أبي ؟

أجابه الفارس في اقتضاب ، لا يخلو من نبرة إعجاب  
واحترام :

— كان فارساً عظيماً .

هتف ( فارس ) :

— من هو ؟ .. من كان ؟ .. ما اسمه ؟

بدا لحظة أن الفارس سيجيب ، إلا أنه لم يلبث أن قال في  
حزم :

— سل الشيخ .

انعقد حاجبا ( فارس ) في غضب ، وقال في حدة :

— ستجيبني أنت ، أو يفرض سيفي هذا في ..

قاطعته صيحة هادرة :

— ( فارس ) !!

لم يكذ ( فارس ) يسمع صوت أستاذه ومعلمه الشيخ ،  
حتى تراجع سيفه على الفور ، وحملت ملامحه كل الاحترام  
والإجلال والهيبة ، وهو يلتفت إلى الشيخ ، الذي برز أمام  
خيمته ، مستطرذا :

— ويحك يا ( فارس ) .. ماذا تفعل بضيفنا ؟

برز ( مهاب ) أيضاً من خيمته في نفس اللحظة ،  
( فارس ) يجيب في احترام :

— لقد تسلل إلى المعسكر يا عمّاه ، و.....

قاطعته الشيخ في حزم :

— اخفض سيفك أولاً يا ولدي .

خفض ( فارس ) سيفه ، وأداره في الهواء في براعة ، ثم  
أعادته إلى غمده في حركة سريعة ، وابتعد قليلاً عن جواد  
الفارس ، في حين اقترب الشيخ في وقار من الفارس وجواده ،  
وقال في احترام :

— تفضل ، على الرحب والسعة .

هبط الفارس من على صهوة جواده ، واعتدلت قامته في  
اعتداد ، واتجه في خطوات واثقة إلى خيمة الشيخ ، وتبعه  
الشيخ في هدوء ، ثم أسدل أستار خيمته خلفه ، فمطّ  
( فارس ) شفّته ، وتمتم :

— هذا الأمر لا يروق لي .

ابتسم ( مهاب ) ، وسأله :

— لماذا ؟

هزّ ( فارس ) كتفيه ، وأجاب في ضيق :

— يحقني أن كل شيء هنا يحاط بالغموض ، فأنتم تخفون

عني حقيقة منشئي ، واسم والدي ، وحقيقة ذلك الزنجي

( فهد ) ، الذي يظهر ويختفي دون سابق إنذار ، ويبدو كما لو

كان ملائكة حارساً ، وأخيراً ذلك الزائر الغامض .

قال ( مهاب ) في حزم :

— لا تشغل عقلك بهذا .

هتف ( فارس ) محنقاً :

— كيف ؟

ودون أن ينتظر جواباً من ( مهاب ) ، صديقه ومدربه ،

اتجه إلى جواده الأبيض ( رفيق ) ، ووثب على متنه ، دون سرج

أو عنان كالمعتاد ، وجذب معرفته في حزم ، فرفع ( رفيق )

قائمته الأماميتين ، وأطلق صهيلاً يشفّ عن قوته وجدله ، ثم

انطلق براكبه وسط الأشجار ، ولم ينس أن يتجه أولاً نحو جعبة

السهم ، التي التقطها ( فارس ) مع قوسه في براعة ، ثم غاب

الاثنان وسط ربوع ( غرناطة ) فتنهّد ( مهاب ) وقال :

— ليتك تعلم !

ثم ألقى نظرة على خيمة الشيخ ، وانهمك بعدها في إعداد سيفه وثيابه ..

أما بالنسبة للفارس المثلث ، فلم يكذب بلج خيمة الشيخ ، حتى أزال لثامه في حركة هادئة ، وهو يسأل :

— هل تعرفتني ؟

انحنى الشيخ نصف المناءة ، وهو يقول :

— ومن ذا الذي يجهل مولاي الملك .

ابتسم الملك لحظة ، ثم لم يلبث أن استعاد تجهمه وقلقه ، وهو يقول :

— يبدو أنني أحتاج إلى فارسك أيها الوزير .

أجابته الشيخ في وقار :

— هو رهن إشارتك يا مولاي .

أوماً الملك برأسه مقدراً ومتفهماً ، وتعم :

— أنا واثق من هذا .

ثم تنهد ، وشبك أصابع كفيه خلف ظهره ، وسأل الشيخ :

— ألن تسألني لماذا أحتاج إليه ؟

قال الشيخ في هدوء :

— لا ريب أنه أمر يخص ( الأندلس ) .

أوماً الملك برأسه إيجاباً ، وقال :

— ويخصني أيضاً .

ثم أشاح بوجهه ، واتجه نحو فرجة أستار الخيمة ، وتطلع منها

إلى الخارج لحظات في صمت ، قبل أن يقول :

— لقد اختطفوا ( جميلة ) .

ارتفع حاجبا الشيخ ، وهو يقول :

— الأميرة ( جميلة ) ؟! .. أتقصد ابنتك ؟

أوماً الملك برأسه إيجاباً ، وقال في حزن :

— نعم .. أقصد ابنتي الأميرة ( جميلة ) .. ذلك الملاك

الرقيق ، الذي يملأ حياتي بهجة .

والتفت إلى الشيخ ، وقد التمع الدمع في عينيه ، واستطرد في

غضب :

— اختطفها القشتاليون الأوغاد ..

تعم الشيخ :

— ولكن لماذا ؟

مسح الملك دمعة مريرة ، قبل أن تخدعه فتزلق من بين

جفنيه ، وتهدر معها وقاره الملكي ، ثم لوح بكفه ، قائلاً :

— خدعة أخرى دنيئة من ( فرناندو ) و ( إيزابيلا ) ..  
لقد اختطفنا ابنتي الرقيقة ، التي لم تتجاوز عامها الثامن عشر  
بعد ، في بهم الليل ، ونقلناها إلى قصرهما في ( قرطبة ) ، وتركنا  
لي رسالة ، يطالباني فيها بتسليمهما ( غرناطة ) ، أو يذبحان  
( جميلة ) بلا رحمة .

بدا الغضب على وجه الشيخ ، وهو يقول :

— يا للحقارة !

تابع الملك في مرارة :

— أنت تعلم أنني لن أخون ( الأندلس ) أبداً ، ولن يذكر  
التاريخ عني أنني كنت أحد أسباب هزيمة العرب فيها ، بل  
سأسعى بكل جهدي وعرقى وقواي ؛ لمنع حدوث هذه  
الهزيمة .

سأله الشيخ :

— وماذا عن ابنتك ؟

ارتسم الحزن على وجه الملك ، وقال :

— إنها أسيرة الآن في ( قرطبة ) ، بين يدي ( فرناندو )  
و ( إيزابيلا ) ، ملكي ( قشتالة ) ، وهما لن يرحمها أبداً ،  
وأصدقك القول إننا لا نملك القوة الكافية الآن للهجوم على

( قرطبة ) ، وإنقاذ ( جميلة ) بالقوة ، وإرسال كوكبة من  
الفرسان سيؤدي إلى النتيجة نفسها ، ولا يمكنني التخلي عن  
ابنتي في سهولة ، فهذا يمزق نياط قلبي .

رفع وجهه بغتة ، وأضاف :

— لقد درست كل الاحتمالات ، ولم أجد أمامي سوى

فرصة واحدة لاستعادة ابنتي الأسيرة ، و.....

لم يكمل ، ولكن الشيخ أدرك مقصده ، فاعتدل بدوره ،

وردّد في حزم :

— ( فارس ) .

وأوماً الملك برأسه إيجاباً ..

\*\*\*

انطلق ( فارس ) في ربوع ( غرناطة ) ، والحنق يعصف

بنفسه ..

كان الغموض المحيط به يحنقه بالفعل ..

لقد نشأ في هذا المخيم ، منذ وعت عيناه الدنيا ..

نشأ بين يدي معلمه الشيخ ، الذي راح يشه العلوم

والحكمة ، ويعلمه قواعد دينه ودنياه ، ويتحدث إليه بلسان

الأعاجم ، حتى صنع منه ما هو عليه الآن ..

وفي الوقت نفسه كان ( مهاب ) يدرّبه على فنون الفروسية

والقتال ..

وما هو ذا لان فارس ..

فارس يجهل من هو ..

إلى من ينتمى !! ..

إنه لم ينس ولن ينسى أبداً ذلك اليوم ، عندما أعطاه الشيخ تلك الحلقة البيضاء والخوذة الفضية ، والنطاق والغمدة والسيف ، بألوانها الخضراء ..

يومها أدرك أن ما يعد له طيلة عمره قد بدأ ..

وأن لحظة مولد الفارس قد حانت ..

( فارس الأندلس ) ..

انتزعه من أفكاره مرأى ذلك الغزال ، الذى جعل لرؤيته ، فانطلق يعدو مبتعداً ، ولكن ( فارس ) تشبث بمعرفة جواده ، وهتف به :

— انطلق يا ( رفيق ) .

انطلق الجواد العربى القوى خلف الغزال ، وتخلسى ( فارس ) عن المعرفة ، وأمسك قوسه بيسراه ، ودفع قاعدة السهم فى وتره بيميناه ، وجذب الوتر ..

وأطلق السهم ..

إنه لا يحتاج عادة إلا لسهم واحد ..

هكذا درّبه ( مهاب ) ..

وفى بساطة ، حمل صيده ، وعاد به إلى المعسكر ، وفى اللحظة التى بلغه فيها ، كان الملك يغادره على صهوة جواده ، وكان ( مهاب ) يرتدى ثيابه كلها ، فهبط ( فارس ) عن جواده ، وحمل الغزال على كتفه ، وهو يقول :

— لماذا رحل الضيف المثلّم مبكراً ؟ .. كان ينبغى أن يتناول

طعام الإفطار معنا أولاً .

أجابه ( مهاب ) ، وهو يحمل سرجاً :

— للضرورة أحكام .

ثم ألقى السرج على ظهر ( رفيق ) ، وراح يربط أحزمته حول بطن الجواد فى قوة ، فهتف ( فارس ) معترضاً :

— ماذا تفعل ؟ .. لم يعتد ( رفيق ) تلك الأثقال .

أجابه الشيخ فى حزم :

— ينبغى أن يعتادها ، فليس من المستحب أن يتعرّفك

أحد ، حيث ستذهب هذه المرة .

التفت إليه ( فارس ) ، وسأله :

— أهى مهمة جديدة ؟

أوماً الشيخ برأسه إيجاباً ، فأشار ( فارس ) إلى حيث يتعد

الملك وجواده ، وقال :



— أهو صاحبها ؟

أجابه الشيخ في حزم :

— إنها مهمة من أجل ( الأندلس ) .

صمت الجميع لحظة ، ثم سأل ( فارس ) :

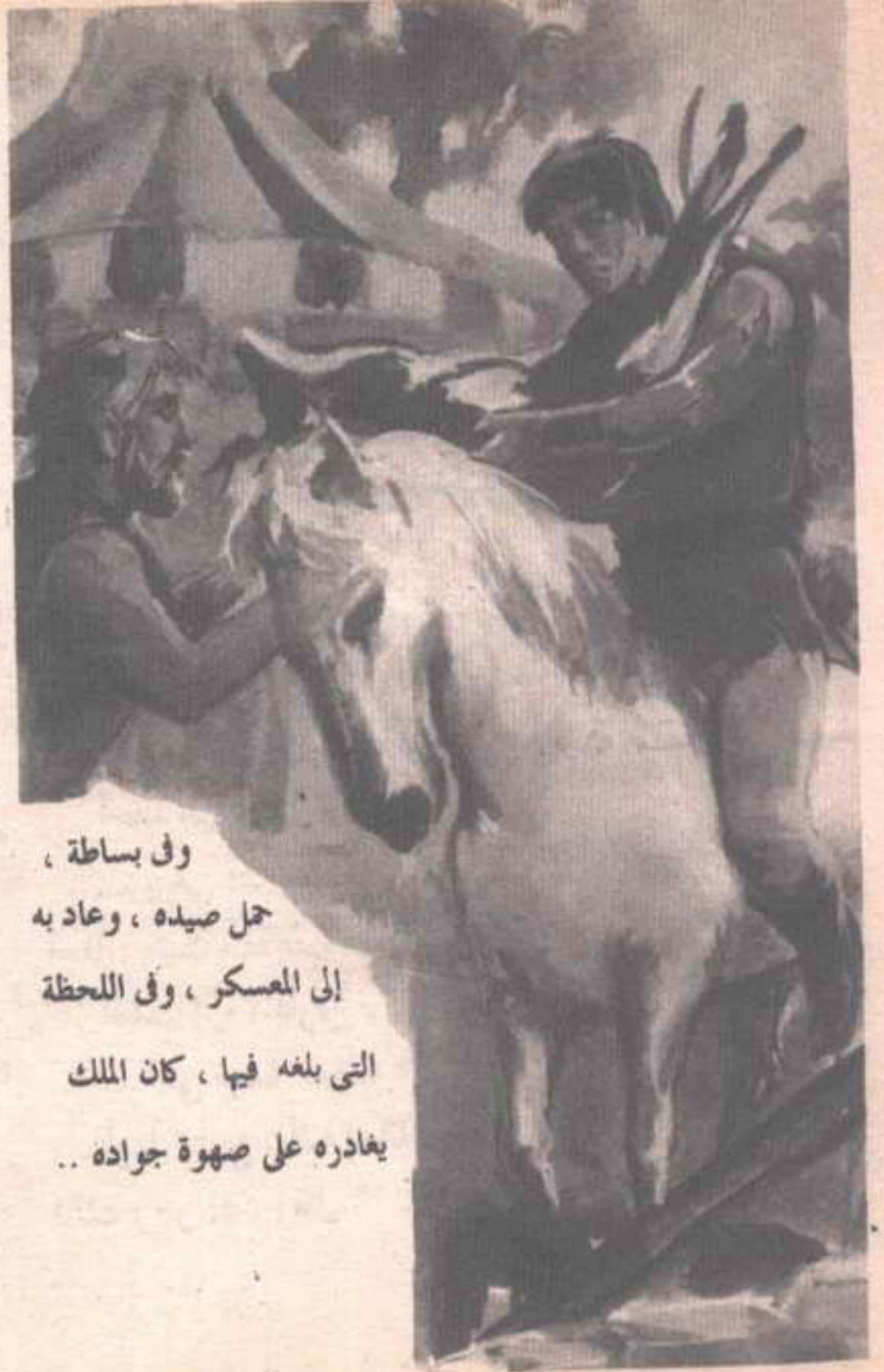
— أين ؟

أجاب الشيخ في حسم :

— في القلب هذه المرة يا ولدى .. في قلب الأعداء ..

وكانت هذه هي البداية ..

\*\*\*



وفي بساطة ،

حمل صيده ، وعاد به

إلى المعسكر ، وفي اللحظة

التي بلغه فيها ، كان الملك

يفادره على صهوة جواده ..

## ٢ - قرطبة ..

أطلق ( فرناندو الخامس ) ضحكة مجلجلة ، ولوح بكأس  
الشراب في يده ، وهو يلتفت إلى الملكة ( إيزابيلا ) ، قائلاً :  
— فلنشرب نخب نجاح الجزء الأول من خطتنا .  
أجابته في غلظة :

— أفضل أن أشرب نخب نجاح الجزء الأخير منها ، ونحن  
ندخل ( غرناطة ) .

فهقه ضاحكاً ، وجرع كأسه دفعة واحدة ، وقال :  
— لن ننتظر هذا طويلاً .

تطلعت إليه لحظة ، وسألته :

— هل تتوقع أن يخضع ( ابن الأحمر ) لتهديدنا ؟  
هزّ كتفيه ، وقال :

— العرب كلهم من ذوى العاطفة الجياشة ، ومن العسير  
على أحدهم التخلي عن ابنته ، حتى ولو كان الثمن هو  
حياته نفسها .

مطت شفيتها ، وغمغمت :

— حياته ربّما ، ولكن ليس وطنه .  
ابتسم ساخرًا ، وهو يقول :

— سنرى .  
صبّ لنفسه كأسًا أخرى ، ثم سأها في اهتمام :  
— ولكن أين وصيفتك الفاتنة ( غالا ) ؟  
رمقته بنظرة غاضبة ، وقالت :

— هل اشتقت إليها كثيرًا ؟  
هزّ كتفيه ، وقال :

— أتشعرين بالغيرة ؟  
مطت شفيتها قائلة :

— بل بالازدراء .

فهقه ضاحكاً ، وألقى محتويات كأسه في حلقه جرعة  
واحدة ، وصمت لحظات ، احتقن فيها وجهه ، من أثر جرعة  
الخمير العنيفة ، قبل أن يسعل لحظة ، ثم يقول في برود :  
— ليس هذا حديث ملكة تجلس على عرش ( قشتالة )  
( ليون ) .

قالت محنقة :

— وليس هذا أسلوب ملك قشتالي عظيم .. إنك تخوننى مع  
وصيفتى ، وليس هذا مما يليق بك .

تنهد وقال في خفوت :

— ( غالا ) تليق بملك الملوك .

هتفت :

— ماذا تقول ؟

لوح بكفه ، قائلاً في حدة :

— لا شيء .. كنت فقط أفكر في صوت مرتفع .

زان عليهما صمت مشوب بالكراهية لحظات ، ثم قالت

( إيزابيلا ) :

— لقد كلّفت ( غالا ) حراسة الأميرة الغرناطية .

ابتسم قائلاً :

— حقاً !

أجابته في حدة :

— وأمرتها بقتل كل من يقترب من جناح الأميرة الأسيرة .

ابتسم في سخرية ، فأضافت بلهجة استفزازية :

— حتى ولو كان الملك نفسه .

انعقد حاجباه في غضب ، وقال :

— أيتها ال .....

قطع عبارته اندفاع وصيفه الخاص داخل حجرته ، هاتفاً :

— مولاي .

التفت إليه ( فرناندو ) في غضب ، وألقى كأسه أرضاً ،

وهو يصرخ به :

— ماذا تريد يا رجل ؟.. كيف تقتحم جناحى الخاص

هكذا ؟

شحب وجه الوصيف ، وهو يقول مرتبكاً :

— عفواً يا مولاي ، ولكننى أحمل خبراً عاجلاً خطيراً .

سأله محققاً :

— ماهو ؟.. هات مالديك .. هيا .

كان من الواضح أن الملك يفرغ جام غضبه في وجه وصيفه ،

الذى تلثم ، وخفض عينيه ، وتمتم :

— هناك غرناطى في ( قرطبة ) يا مولاي .

هتف الملك :

— غرناطى ؟.. أى غرناطى هذا ؟

هز الوصيف رأسه ، وقال :

— لست أدرى يا مولاي .. لقد وصلتنا رسالة من

جاسوسنا في ( غرناطة ) ، يقول فيها إن فارساً من فرسانها قد

انطلق إلى هنا ؛ لإنقاذ الأميرة ( جميلة ) من قصرك ، وأنه قد

بلغ ( قرطبة ) بالفعل هذا الصباح .

ازداد انعقاد حاجبي ( فرناندو ) ، وهو يقول :

— من هو ؟ .. كيف يبدو ؟

عاد الوصيف يهز رأسه نفيًا ، وقال :

— هذا ما لم يعلمه جاسوسنا يا مولاي .

خيّل للوصيف أن أذنيه قد أصيبتا بالصمم ، من ذلك الصمت الرهيب ، الذي ساد المكان ، قبل أن يقول ( فرناندو ) :

— فارس واحد .

ثم انفجر فجأة مقهقها ، وردد مرة أخرى :

— فارس واحد ؟ .. بالسخافة هؤلاء العرب ..

أتصوّرين هذا يا ( إيزابيلا ) ؟ .. فارس واحد لانتزاع الأميرة العربية من قلب حصننا ؟ .. أصيب هؤلاء العرب بالجنون ، أم أن حماقتهم قد فاقت المدى هذه المرة ؟

تمت قلقة :

— أوهي ثقتهم الزائدة في فارسهم .

هتف بها .

— ثقتهم ؟

ثم التفت إلى وصيفه ، وقال في حزم :

— أغلقوا أبواب ( قرطبة ) .. ألقوا القبض على أي غريب يدخلها ، أو دخلها هذا الصباح .. أحكموا الحصار حول القصر .. اعتقلوا كل من تشبهون في أمره .  
وملأ كأسه ، وجرعها في سرعة ، قبل أن يستطرد في صرامة :

— لن يهزمنّا العرب أبدًا .. أبدًا ..

\*\*\*

سار ( فارس ) الهوينى بجواده ، داخل طرقات ( قرطبة ) ، وراحت عيناه تدوران في كل ما حوله ، حتى قال ( مهاب ) ، الذي يسير بجواده إلى جواره :

— إنها أول مرة ترى فيها ( قرطبة ) .. أليس كذلك ؟  
أجابه ( فارس ) :

— بلى ، وأشعر بغصة في حلقى لرؤيتها .

قال ( مهاب ) في دهشة :

— غصة ؟

أوما ( فارس ) برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم يا صديقي ، أشعر بغصة في حلقى ؛ لأن كل هذا كان لنا يومًا ، ثم تركناه لهم .

تهد ( مهاب ) وقال :

— لم نتركه يا ( فارس ) .. لقد خسرناه .

قبض ( فارس ) قبضته في قوة ، وقال في مرارة :

— وهذا أدعى للحنق .

رآن عليهما الصمت لحظات ، وهما يقطعان طرقات

( قرطبة ) على صهوة جواديهما ، ثم قال ( فارس ) :

— متى تبلغ حصن ( قرطبة ) ؟

أجابه ( مهاب ) :

— بعد قليل .. إنه في نهاية المدينة ، بالقرب من سورها

الخلفى .

عادا إلى صمتها لحظات ، ثم قال ( فارس ) في حنق :

— اللعنة !

سأله ( مهاب ) :

— ماذا هناك ؟

قال في حدة :

— أشعر بالضيق وأنا أقود ( رفيق ) بسرج ولجام .. لم أعتد

هذا قط .

ضحك ( مهاب ) وقال :

— لن تلبث أن تعتاده .

لم يبد له أن ( فارس ) يستمع إليه ، فقد انعقد حاجباه ،

وراح يتطلع في انتباه شديد إلى نقطة بعيدة ، فسأله ( مهاب ) :

— ماذا يقلقك هكذا ؟

تحسّس ( فارس ) مقبض سيفه ، وهو يجيب :

— هناك كوكبة من فرسان القشتاليين تقترب ، وهم

يستوقفون المارة ، ويبدو أنهم يحشون عن شيء ما ..

أو شخص ما .

تطلع ( مهاب ) إلى حيث يشير ( فارس ) ، وغمغم

متوترا :

— ولكن لا أحد يعلم بوجودنا ، و.....

قاطعته ( فارس ) في حزم :

— يبدو أنك قد نسيت تعاليم الشيخ يا صديقي ، أما أنا ،

فما زالت كلماته تتردد في أذني : « لا تشق في أي شيء ،

فلا توجد مسلمات في ظل صراع .. » .

تمم ( مهاب ) في قلق :

— هل تظن أنه من المحتمل أن ..؟

قاطعته ( فارس ) مرة أخرى :

— وبم لا ... ربما قص الملك الامر على احد المقربين إليه ،  
وردد هذا الأخير السر أمام زوجته ، التي قصته على مسامح  
زوجة جاسوس ما ، فنقل هذا الأمر إلى سادته في ( قرطبة ) .  
قال ( مهاب ) :

— إنك تمتلك خيالاً خصباً يافى .

ثم أمسك مقبض سيفه بدوره ، مستطرذا :

— ولكن هذا لا يمنع الحذر .

اتجهت نحوهم كوكبة الفرسان ، وقوامها ستة من أشد  
فرسان ( قشتالة ) ، يتمنطق كل منهم بسيفه ، ويقبض على  
مجنه (\*) ، وأشار أكبرهم إلى ( فارس ) ، وهو يقول في حزم :

— أوراقتك أيها العربي .

أجابه ( فارس ) في هدوء :

— لست أحمل أوراقتك أيها القشتالي .

قال القشتالي في صرامة :

— سنلقى القبض عليك إذن أيها العربي .

(\*) المجن : الترس الذي يحمله الفرسان ؛ لصد ضربات خصومهم .

وبصوت كهزيم الرعد ، استل الفرسان الستة سيوفهم ،  
وشهروها في وجهي ( فارس ) و ( مهاب ) ..  
واستل ( فارس ) و ( مهاب ) سيفيهما ، وهتف الأول في  
صرامة :

— عليكم أن تحاولوا أيها القشتاليون .

وتقارعت السيوف في قوة ، وصلصت وجالت ..

وتراجع القشتاليون في رهبة ..

لقد رأوا أمامهم فارسين من أقوى وأشجع فرسان  
العرب ..

وهتف قائدهم :

— قاتلوا .. ألقوا القبض عليهما .. إنهما المقصودان

حتمًا .

ولكن سيف ( فارس ) أطاح بسيف القشتالي ، وهو يهتف  
في حزم :

— القول سهل أيها القشتالي .

خلت الطرقات من المارة ، إزاء هذا القتال الرهيب ،  
وصهلت الجياد ، وقرقعت السيوف ، وسقط أربعة من

الفرسان الستة ، وهتف ( مهاب ) :

— لقد أوقعنا بهم يا فتى .. لقد هزمناهم .

ولكن قائد القشتاليين صرخ :

— النجدة يا فرسان ( قشتالة ) !! الغوث !!

ومن نهاية الطريق ، اندفعت كوكبة أخرى من الفرسان ،

امتشق كل منهم حسامه ، وراحوا يطلقون صيحات رهيبه ،

فهتف ( مهاب ) :

— يبدو أننى قد تعجّلت القول يا ( فارس ) .

صاح به ( فارس ) ، وهو يقاتل كالليث :

— قاتل يا ( مهاب ) .. قاتل واصمت .

بلغتهما كوكبة الفرسان الثانية ، وأحاطت بهما ، وراح

الاثنان يقاتلان فى استماتة ، وسيفاهما يضربان السيوف فى

تواصل مشير ، فتراجعا نحو حائط منزل كبير ، و ( مهاب )

يقول :

— يبدو أن مهمتنا ستتهى قبل أن تبدأ يا ( فارس ) ..

الوداع يا صديقى .

مع آخر حروف كلماته ، أطاح اثنان من القشتاليين

بسيفه ، وارتفع سيف ثالثهم ، وهو يصرخ :

— مت أيها العربى .. مت .

وهوى سيفه على رأس ( مهاب ) ..

\*\*\*

### ٣ — أسوار ( قرطبة ) ..

قطعت ( غالا ) الفاتنة ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى

حجرة برج الحصن ، وأشارت بيدها فى اعتداد إلى حارسى

الحجرة ، فأفسحا لها الطريق فى احترام ، ودفعت هى باب

الحجرة الفسيحة ، ودلفت إليها مرفوعة الرأس ، وتطلّعت

لحظة إلى الأميرة ( جميلة ) ، التى جلست إلى جوار النافذة ،

ودموعها تملأ وجهها ، وقالت لها فى برود :

— أمازلت تبكين ؟

جففت الأميرة دموعها بأناملها الرقيقة ، وقالت فى

كبرياء :

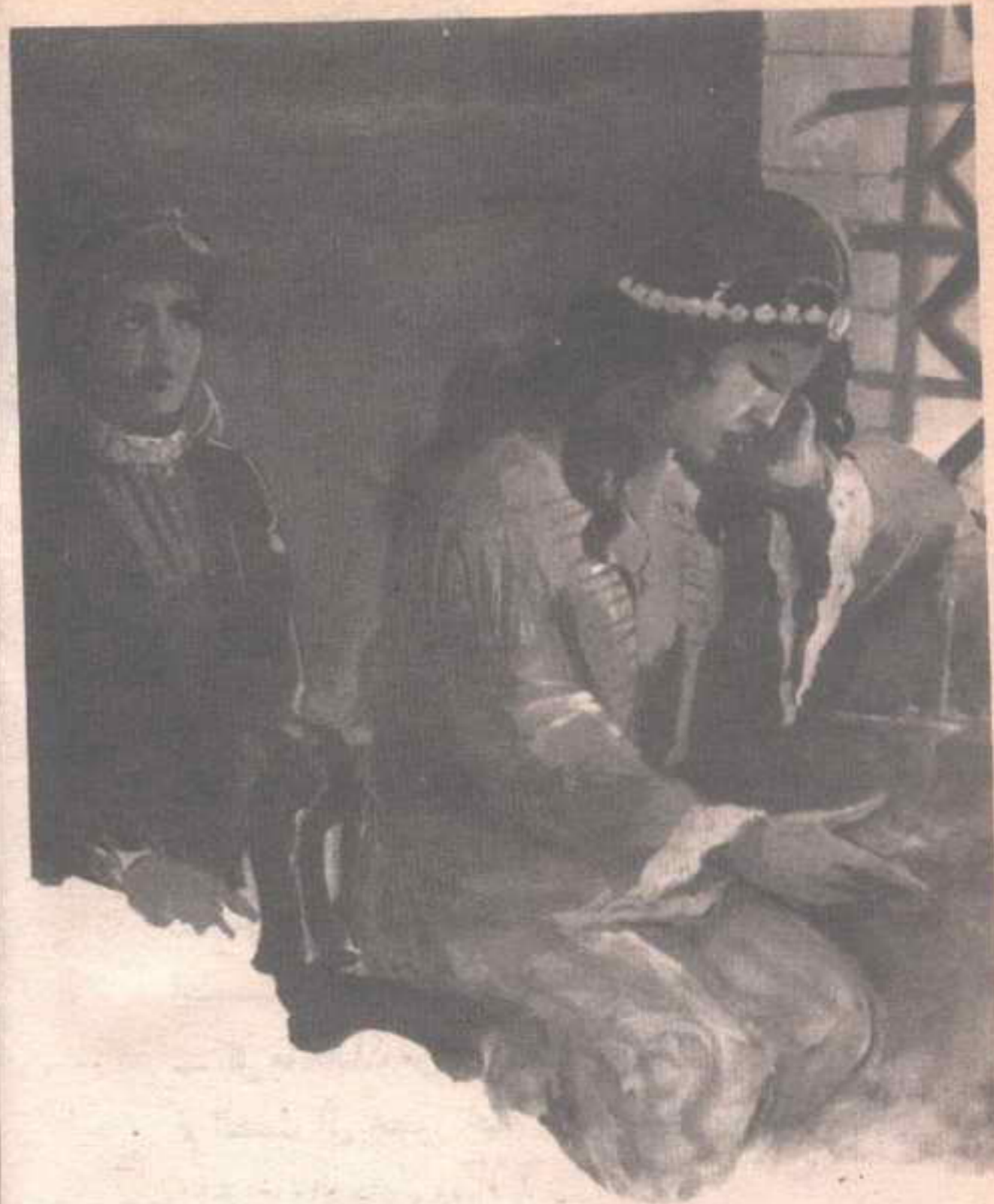
— ليس هذا من شأنك .

ابتسمت ( غالا ) فى سخرية ، وقالت :

— كل ما يخصك من شأنى أيتها العربية .

ثم التفتت إلى عجوز نحيلة ، ذات عينين بارزتين ، يشع

منهما الخبث والدهاء ، وسألتها :



وتطلعت لحظة إلى الأميرة ( جميلة ) ، التي جلست إلى جوار النافذة ،  
ودموعها تملأ وجهها ، وقالت لها في برود : — أمازلت تبكين ؟

— هل تناولت طعامها ؟

هزّت العجوز رأسها نفيًا ، فعقدت ( غالا ) حاجبيها في  
غضب ، وهي تقول للأميرة :

— هل تسعين إلى الانتحار ؟

أجابتها ( جميلة ) في حزم :

— كلاً ، فالمتحر كافر في ديننا ، ولكنني أفضل تناول  
الطعام في ( غرناطة ) ، فلن يطول بقاى هنا بإذن الله .

أطلقت ( غالا ) ضحكة ساخرة ، وقالت :

— أتعنين أن أباك سيخضع لنا ، ويسلمنا ( غرناطة ) على  
طبق من فضة ؟

هتفت ( جميلة ) :

— مستحيل .. أبى ليس خائناً .. إنه ملك عربى ، وأنت  
تجهلين ما يعنيه هذا .

ثم أضافت في لهجة استفزازية :

— ولكنه سيسعى لإنقاذى من أسرى حتماً .

ابتسمت ( غالا ) في سخرية ، وهي تقول :

— هكذا !؟

ثم تحوّلت ابتسامتها إلى ضحكة قوية ، وقالت :



— ألا تعلمين حقيقة وضعك أيتها العربية؟؟ .. إنك هنا في  
قمة البرج الغربي لحصن ( قرطبة ) ، على ارتفاع ألف ذراع ،  
عن سطح الأرض ، ويقوم على حراسة هذا البرج عشرة من  
أقوى رجال الحرس الملكي الخاص ، وهذا يعنى  
— باختصار — أن انقاذك من هنا مستحيل .  
كانت الأميرة ( جميلة ) تدرك استحالة إنقاذها بالفعل ، إلا  
أن كبرياءها العربي جعلها تشمخ بأنفها ، وتقول في عناد :  
— سنرى .

ابتسمت ( غالاً ) في سخرية ، وقالت :  
— نعم .. سنرى .

وأطلقت ضحكة ساخرة أخرى ..

\*\*\*

الموقف كله كان يشير إلى الخسارة ..  
عشرة من الفرسان القشتاليين الأقوياء يحيطون  
بـ ( فارس ) و ( مهاب ) ، وقد فقد ( مهاب ) سيفه ،  
و ( فارس ) يقاتل وحده في يأس مرير ..  
وسيف فارس قشتالي يرتفع فوق رأس ( مهاب ) ،  
ويستعد لشحج جمجمته بلا تردد ، و .. .

وفجأة انطلقت تلك الصرخة ..  
صرخة رهيبة ، مخيفة ، قوية ، انطلقت كزئير ليث  
غاضب ، من أعلى المنزل ، الذى يرتكن ( فارس )  
و ( مهاب ) إلى جداره ..  
وارتجف الفرسان ..  
وتجمد السيف في يد الفارس ، الذى يهيم بقتل  
( مهاب ) ..

وارتفعت كل العيون إلى أعلى ..  
ووثب الفهد ..

( فهد ) .. الزنجى المفتول العضلات .. الصامت ..  
الصنديد ..

( فهد ) أطلق الصرخة ، وقفز من فوق المنزل في صديرته  
وسرواله الأسودين ، وسيفه يلتمع في قبضته ، وهبط بين  
القشتاليين ، الذين تراجعوا في ذعر من أثر المفاجأة ..  
وبصرخة أخرى رهيبة ، ضرب ( فهد ) بسيفه الصدور  
والأعناق ..

عاصفة سوداء عاتية أصابت الفرسان ..  
موت محقق هبط عليهم من السماء ..  
وصاح ( فارس ) :

— ها هوذا أخيراً .. كنت أعلم أنه سيأتى :

وبضربة ماهرة ، أطاح بسيف أحد القشتاليين ، وقفز يلتقط  
السيف في الهواء ، ثم ألقاه إلى ( مهاب ) ، هاتفاً :  
— هيا يارجل .. هيا .. لقد انقلبت دفة الأمور ..  
وفي هذه المرة ، لم يكن أمام فرسان ( قشتالة ) سوى  
التراجع ..

كان أمامهم ثلاثة أسود ، يقاتلون كما لم يقاتل فرسان من  
قبل ..

ثلاثة من أسود العرب ..

بل .. ( فهد ) وأسدان ..

وفي مرارة ، وثب قائد القشتاليين على صهوة جواده ،  
وصاح في رجاله :

— انسحبوا .. أسرعوا .

انطلق رجاله يعدون مبتعدين ، و ( مهاب ) يصرخ  
خلفهم :

— أسرعوا أكثر أيها الفران المدعورة .

اختفى القشتاليون في نهاية الطريق ، ولوح ( فارس )  
بسيفه ، ثم أعاده إلى غمده ، وهو يلتفت إلى ( فهد ) ، هاتفاً :

— مرحباً بك يارجل .. كنت واثقاً من أنك ستظهر وقت  
الحاجة إليك ، حتى أنني كنت أتساءل : لماذا لم تظهر حتى الآن ؟

لم ينبس ( فهد ) ببنت شفة كما دته ، وإنما أعاد سيفه إلى  
غمده ، وانحنى أمام ( فارس ) ، ثم اعتدل يشير إلى حيث  
اختفى القشتاليون ، ولوح بسبأته ، فقال ( مهاب ) :

— أنت على حق .. إنهم سيعودون .

ثم أمسك كنف ( فارس ) ، وقال :

— هيا .. لا بد لنا من أن نبتعد قبل عودتهم .

عقد ( فارس ) حاجبيه ، وقال في حدة :

— هل نفر كالجبناء ؟

أجابه ( مهاب ) في صرامة :

— هناك فارق كبير بين الجبن والحماسة .. هيا .

ثم التفت إلى ( فهد ) ، مستطرداً :

— ولكنني أظن أن أوصافنا ستملأ الطرقات ، ويحفظها

كل قشتالي عن ظهر قلب ، و.....

أشار إليه ( فهد ) ، ثم أسرع إلى ما خلف المنزل ، فغمغم

( فارس ) :

— ماذا يعني ؟

أجابه ( مهاب ) في اهتمام :

— أظنه سيذهب بنا إلى مكان ما .

رَدَّد ( فارس ) في دهشة :

— مكان ما ؟!

عاد ( فهد ) في اللحظة نفسها ، وهو يمتطي جواده  
الأسود ، وأشار إلى ( مهاب ) ، و ( فارس ) ، فقفز كل منهم  
على صهوة جواده ، وتبعاه عبر طرقات معقدة متشابكة ضيقة ،  
بدا أن ( فهد ) يعبرها في ثقة ، جعلت ( فارس ) يسأل  
( مهاب ) في دهشة :

— كيف يحفظ هذه الطرقات ؟

ابتسم ( مهاب ) وقال :

— لقد وُلِدَ هنا .

رمق ( فارس ) ( فهد ) بنظرة حائرة ، وهو يغمغم :

— حقاً ؟!

توقَّف ( فهد ) أمام منزل قديم ، وهبط عن جواده ،  
وطرق باب المنزل ثلاث طرقات متباعدة ، ففتح الباب رجل  
في منتصف الأربعينات من عمره ، تهلَّلت أساريره وهو يهتف :

— ( فهد ) ..! مرحباً بك يا رجل .. كنت أنتظرِكَ .

أشار ( فهد ) إلى رفيقه ، فتبعاه إلى داخل المنزل ، وأغلق  
صاحبه بابه خلفهم في إحكام ، ثم التفت إلى ( مهاب ) ،  
وأمسك كفيه في قوة ، وهو يقول في حرارة :

— ( مهاب ) .. يا إلهي !! .. لم أتصوَّر أبداً أنا سنلتقي  
مرة أخرى يا رجل .

بدا الانفعال العاطفي على وجه ( مهاب ) ، وهو يقول :

— ولا أنا يا ( قاسم ) .

أطلق ( قاسم ) ضحكة تشفَّ عن سعادته ، وربَّت على  
كف ( مهاب ) في حماس ، وهو يقول :

— إنك لم تتغيَّر أبداً يا قائد الفرسان .. فقط بعض  
الشعيرات البيضاء في لحيتك .. كم يذكرني مرآك بأيام الأمير  
ال.....

قاطعهُ ( مهاب ) في سرعة ، وهو يشير إلى ( فارس ) :

— أنسيت رفيقنا ؟

التفت ( قاسم ) إلى ( فارس ) ، وشفته تحملان ابتسامة  
ترحاب ، ولكنه لم يكذب بتبين ملامح ( فارس ) حتى سقط فكه ،  
واتسعت عيناه في دهشة ، وراح يحدِّق في هذا الأخير ، على نحو  
جعل ( فارس ) يقول في ضيق :

— ماذا بك يا رجل ؟ .. تبدو كما لو أنك قد شاهدت

شبحاً !

لم يجب ( قاسم ) ..

ظل لحظات يحدق في وجه ( فارس ) في دهشة ، ثم لم يلبث  
أن التفت إلى ( مهاب ) ، وقال بانفعال :  
— أهو ابنه ؟

أوماً ( مهاب ) برأسه إيجاباً في صمت ، فعاد ( قاسم )  
يلتفت إلى ( فارس ) ، واغرورقت عيناه بدموع خشوع ، وهو  
يهتف :

— مولاي .

انحنى أمام ( فارس ) في احترام بالغ ، فعقد ( فارس )  
حاجبيه في توتر ، وأمسك كنف ( قاسم ) ، وقال :

— قل لي يا رجل : هل تعرف أبي ؟

هتف ( قاسم ) :

— ومن ذا الذي يجهله يا مولاي ؟ .. لقد كان ( رحمه الله )

أعظم أمراء ( قرطبة ) ..

بل أعظم فرسان ( الأندلس ) كلها .

انفرست أصابع ( فارس ) في كنف ( قاسم ) ، وارتجف

صوته من شدة الانفعال ، وهو يقول :

— ما اسمه يا رجل ؟ .. من هو ؟ .. أخبرني .

هتف به ( مهاب ) في صرامة :

— كفى يا ( فارس ) .

التفت إليه ( فارس ) في حدة ، هاتفاً :

— لماذا لا تريدون أن أعلم ؟

أجابه في حزم :

— لم يحن الوقت بعد .

— ثم استدرك بسرعة ، عندما لمح الغضب في وجه

( فارس ) :

— إنها أوامر الشيخ :

بدا لحظات أن صراغاً عنيفاً يدور في أعماق ( فارس ) ، ثم

لم تلبث ملامحه أن شفت عن حسم هذا الصراع ، وهو يقول :

— حسناً .. سأنتظر .

صمت ( قاسم ) لحظات ، وهو يدير عينيه في وجوه

الجميع ، ثم تنهد وقال :

— لا ريب أنكم تشعرون بالجوع .

أجابه ( مهاب ) :

— بالتأكيد .

ابتسم ( قاسم ) ، وصاح :

— أعدوا الطعام للضيوف .

ثم أشار إلى ركن مظلم ، فبرز منه طفل في العاشرة ، المنحني  
( قاسم ) نحوه ، وقال في حزم :

— هؤلاء ضيوفنا يا ولدي ، وهم عرب مثلنا ،  
والقشتاليون يبحثون عنهم .. اخرج لمراقبة ما يحدث في  
الخارج ، وأندرنا عند شعورك بالخطر .

— أجابه الطفل في هدوء :

— كما تأمر يا أبى .

وأسرع يغادر المكان ، فقال ( فارس ) :

— لقد صنعت منه رجلاً قبل الأوان .

ابتسم ( قاسم ) ، وقال :

— في الحروب يأتي الأوان مبكراً .

ثم تلاشت ابتسامته ، وحملت ملامحه كل الجدئية ، وهو  
يستطرد في حزم :

— والآن ستناول الطعام ، ثم ندرس الأمر كله .. وبكل  
التفاصيل .

— وكان هذا ما يتغيه ( فارس ) ..

في تلك اللحظة على الأقل ..

\*\*\*

اجتاحت موجة هائلة من الغضب الملك ( فرناندو ) ، وهو  
يستمع إلى قائد حرسه ، ثم لم يلبث أن هتف :

— أى قول أحق هذا ؟.. كيف يتوصل رجالك إلى  
جواسيس العرب ، ثم يعجزون عن إلقاء القبض عليهم  
يا ( فاسكو ) ؟.. كيف يفشل أعظم فرساننا في الإيقاع بثلاثة  
من العرب ؟

قال ( فاسكو ) في ضيق :

— لم يكن الرجال يتوقعون هذا ، وأنت تدرك تأثير عامل  
المفاجأة ، و.....

صرخ فيه ( فرناندو ) :

— هراء .

— وعقد كفيه خلف ظهره ، واتجه إلى نافذة جناحه ، وراح  
يتطلع منها لحظات في صمت ، وكأنما يحاول السيطرة على غضبه

وتوتره ، ثم لم يلبث أن التفت إلى ( فاسكو ) ، وقال في حزم :

— ستكون هذه آخر مرة أغفر فيها أى خطأ لرجالك  
يا ( فاسكو ) .. لقد فشلتم هذه المرة في اقتناص الجواسيس ،  
ولكنكم ستجحون في المرة القادمة ، أو تدفعون ثمن  
هذا الفشل .

واحتقن وجهه في انفعال ، وهو يستطرد :

— أريد هؤلاء الجواسيس العرب قبل الفجر .. هل تفهم ..؟ قبل الفجر .

انحنى ( فاسكو ) أمامه ، وقال :

— كما تأمر يا مولاي .

وانطلق خارجًا لتنفيذ الأمر ..

وصمت ( فرناندو ) لحظات ، بعد انصراف ( فاسكو ) ، ثم اندفع نحو جناح الملكة ( إيزابيلا ) ، واقتحمه على نحو أدهش الملكة ووصيفاتها ، ونهضت ( غالا ) في حركة حادة ، هاتفة .  
— مولاي !؟ ..

بدا الضيق على وجه ( إيزابيلا ) ، ثم أشارت إلى وصيفاتها بالانصراف ، فأسرعن يغادرن جناحها ، إلا أن الملك استوقف ( غالا ) ، وسأها :

— كيف حال أسيرتك ؟

تردّدت ( غالا ) لحظة ، وهي تختلس النظر إلى الملكة ، فصاح بها ( فرناندو ) غاضبًا :

— أجيبي سؤال الملك .

خفضت ( غالا ) عينها ، وأجابت :

— مازالت ترفض تناول الطعام يا مولاي .

قال في حدة :

— فلتذهب إلى الجحيم .

ثم تابع في غلظة :

— ضاعفى الحراسة حول جناحها ، ومضى الحراس بالاستعداد ، لو شعروا أن شخصًا قد ينجح في بلوغ حجرتها . سألته في دهشة :

— الاستعداد لماذا ؟

انعقد حاجباه ، وبدا صارمًا حازمًا ، وهو يقول :

— لقتلها .

\*\*\*

كان الطعام شهياً طيباً ، إلا أن ( فارس ) لم يتناول سوى النذر اليسير ؛ ليحافظ على نشاطه ، ثم جلس الرجال الأربعة في حجرة كبيرة ، في نهاية المنزل ، وقال ( قاسم ) :

— من الواضح أن القشتاليين يدركون حقيقة موقفكم ، وأنكم قد أتيتم لإنقاذ الأميرة ، فهم يمشطون ( قرطبة ) بحكا عنكم ، ويضاعفون الحراسة حول حصنهم ، حيث يحتجزون الأميرة ( جميلة ) .

سأله ( فارس ) في اهتمام :

— هل تعلم بالضبط أين يحتجزونها ؟

أوماً ( قاسم ) برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. إن لدى جاسوساً في الحصن ، ولقد أبلغني هذا الجاسوس أنهم يحتفظون بالأميرة في حجرة البرج الغربي ، وأن عشرة من أقوى رجال الحرس الملكي يحيطون بها ، ولا أحد يُسمح له ببلوغ حجرتها سوى عجوز تُدعى ( شواهي ) ، والوصيفة ( غالا ) .

سأله ( فارس ) :

— من ( غالا ) هذه ؟

تبادل ( قاسم ) نظرة مع ( مهاب ) ، ثم أجاب :

— إنها أجمل أفعى بين صفوف ( قشتالة ) ، وأكثرهن جمالاً ودهاءً وشراسة .

تجاهل ( فارس ) هذا الوصف ، وسأله :

— أديك خريطة للقصر ؟

أجابه ( قاسم ) :

— بالطبع .

في حين غمغم ( مهاب ) :

— إنني أحفظه عن ظهر قلب .

التفت إليه ( فارس ) في دهشة ، وهمّ بسؤاله عما يعنيه بهذا ، إلا أن ابن ( قاسم ) اقتحم الحجرة في هذه اللحظة ، وهتف :

— القشتاليون هنا .. إنهم يحاصرون المنطقة كلها ، ويفتشون كل المنازل .

هب الجميع واقفين ، واستلّ ( فارس ) سيفه ، وهو يقول :

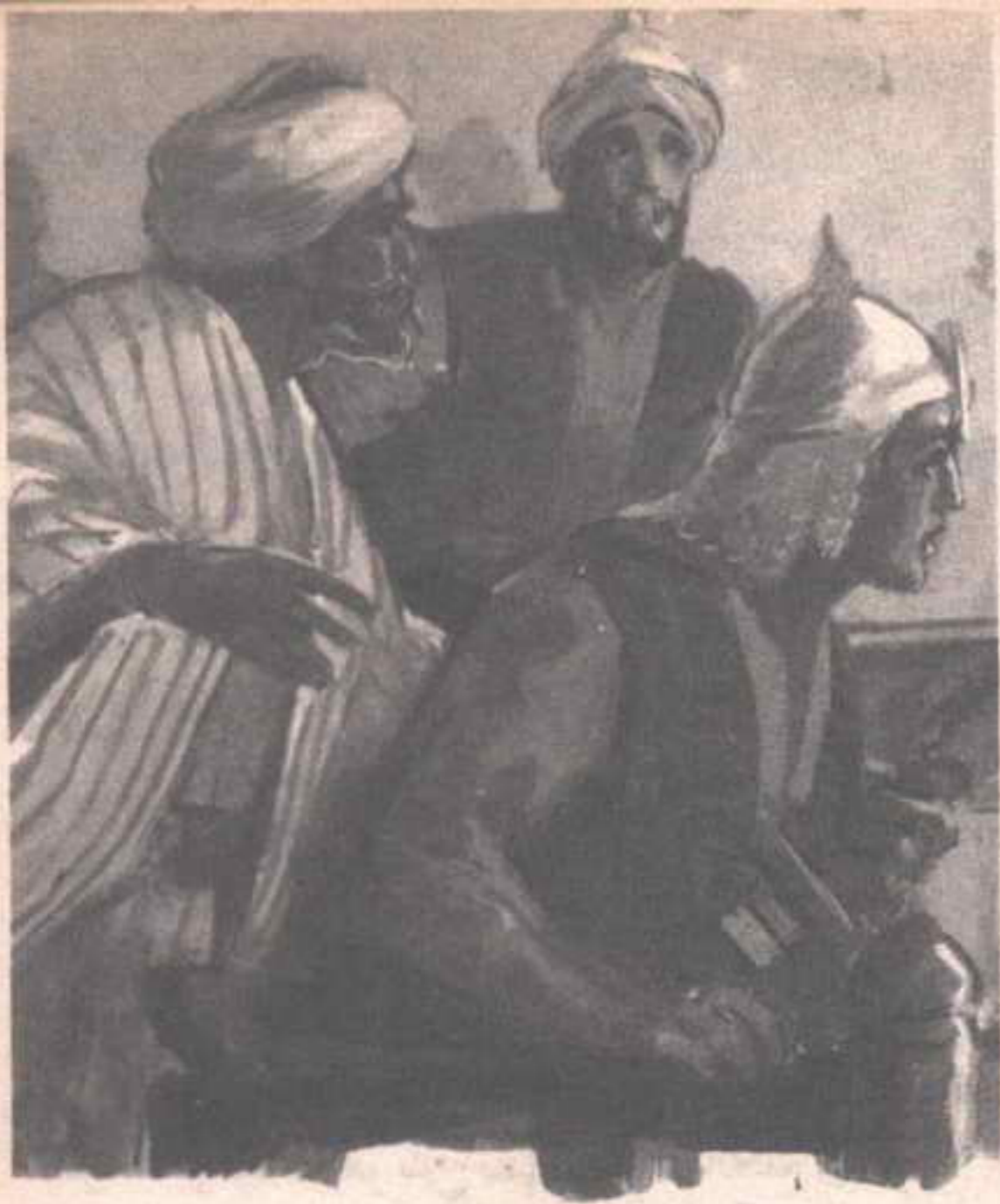
— كم عددهم ؟

لم يجب الطفل ، وإنما أدار عينيه إلى والده ، وأجاب في صوت مرتجف :

— لا يوجد أمل هذه المرة يا أبي .. لا أمل .

لم يكذبهم عبارته ، حتى ارتفعت دقات القشتاليين على باب المنزل ، مؤكدة نفس الحقيقة .. لا أمل ..

\*\*\*



قال ( فارس ) في إصرار :  
— سنقاتل حتى آخر رمق ..

## ٤ — الفرسان ..

التقت عيون الجميع في نظرة تحمل آلاف المعاني ، ثم رفع  
( فارس ) سيفه ، وهو يقول في حزم :

— لا مفرّ إذن من القتال .

أمسك ( قاسم ) يده ، وقال قلقًا :

— قتال من ؟ .. ألم تسمع القول ؟ .. إنهم يحاصرون المنطقة

كلها ، والطرق هنا ، كما لا بد أنك قد لاحظت ، أن طرقاته  
ضيقة متداخلة ، ومثل هذه الطرق لا يتأذى فيها ، لثلاثة من

الفرسان ، القتال والفرار .. إنهم سيوقعون بكم حتمًا .

قال ( فارس ) في إصرار :

— سنقاتل حتى آخر رمق .

لم ينبس ( قاسم ) ببنت شفة ، وإن شفت عيناه عن اليأس ،

فقال ( مهاب ) في حزم :

— لا خيار هذه المرة يا رجل ، فالموت ونحن نقاتل أشرف

ألف مرة ، من أن يقتلونا هنا ، ولا يوجد حل بديل ، و.....

قطعت عبارته صرخة هائلة ..



صرخة ارتج لها المكان كله ، وميز فيها الجميع صوت  
( فهد ) ..

وهتف ( فارس ) :

— إنه ( فهد ) ولاشك .. يا إلهي !.. كيف لم أنتبه إلى  
غيابه .

اندفع الثلاثة إلى نافذة المنزل ، حيث ارتفع صليل  
السيوف ..

ولكن فاتتهم البداية ..

وكانت بداية رائعة بكل المقاييس ..

كان القشتاليون يطرقون باب منزل ( قاسم ) ، وسيوفهم  
مشهورة في أيديهم ، والتحفز والشراسة والحذر تطل من  
عيونهم ..

ثم برز ( فهد ) ..

برز من خلف المنزل ، على متن جواده الأسود ، وأطلق  
صرخته الرهيبة ، وهو يلوح بسيفه الضخم اللامع في الهواء ..  
واستدار القشتاليون بسيوفهم وأنظارهم إلى مصدر  
الصرخة ..

وانطلق ( فهد ) ..

انطلق كإعصار عاتٍ مدمر ..

وقبل أن يرفع القشتاليون سيوفهم ، كان سيف ( فهد )  
يهوى على صدورهم وأعناقهم ، ثم جذب هذا الأخير عنان  
جواده ، وانطلق به وسطهم ، وهو يلوح بسيفه ، ويطلق  
صرخاته الخفيفة ، ثم لم يلبث أن انحرف في طريق ضيق ، فصرخ  
قائد القشتاليين في غضب :

— إنه أحدهم .. انطلقوا خلفه .. لاتدعوه يهرب .

قفز القشتاليون على ظهور جيادهم ، وانطلقوا خلف  
( فهد ) ، وسيوفهم تلمع في الهواء ..

ومن مخبئه ، شاهد ( فارس ) ما حدث ، فاستل سيفه ،  
وقال :

— لا بد أن نلحق بهم .. لن نترك ( فهد ) وحده .

أمسك ( مهاب ) بقبضته في حزم ، وقال :

— بل سنبقى ، فلن نضيع محاولته إبعادهم عنا هباءً .  
قال ( فارس ) محتدًا :

— وهل نتركهم خلفه وحده هكذا ؟

رَبَّت ( قاسم ) على كتفه ، قائلاً :

— لاتقلق بشأن ( فهد ) ، فمعرفة بالمنطقة وخباياها

تكفي لأن يضلوا كلهم الطريق خلفه .

تردد ( فارس ) لحظات ، ثم غمغم :  
— أنتن هذا حقًا ؟

ابتسم ( قاسم ) ، وأجاب في ثقة :  
— بالتأكيد يافتي .

ثم أضاف في جدية واهتمام :

— المهم الآن هو أن نسعى لإنقاذ الأميرة .

قال ( فارس ) في حزم :

— وبسرعة .

— ثم أعاد سيفه إلى غمده ، واستطرد :

— إنني أتذكر الآن قول الشيخ : « لا يُطرق الحديد إلا

وهو ساخن » ، وهذا يعني ضرورة أن نتحرك في سرعة ، فما دام أمر مهمتنا قد أصبح معروفًا ، فلا شك أن القشتاليين سيتخذون أهبتهم ؛ لحراسة الأميرة ، وحماية حصنهم ، ومنعنا من محاولة إنقاذها ، واتخاذ هذه الإجراءات يستلزم منهم وقتًا ، والأمل الوحيد في نجارتنا ونجاحنا ، هو أن نتحرك أسرع منهم ، وهم لن يتوقعوا هذا حتمًا .

رآن الصمت لحظة ، ثم قال ( مهاب ) :

— هل تتعجل إنهاء المهمة ؟

هز ( فارس ) كتفيه ، وابتسم ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— لقد سئمت عدم ارتداء الزى الأبيض ، وامتطاء حصاني بسرج ولجام .

رآن الصمت لحظات أخرى ، تبادل خلالها ( قاسم ) و ( مهاب ) نظرة تفوح بالقلق ، قبل أن يتمم ( مهاب ) في خفوت :

— وكيف تتصور قيامنا بالعمل ؟

أشار ( فارس ) إلى رأسه ، وأجاب :

— بالحيلة .

سأله في اهتمام :

— ماذا تعني ؟

ابتسم وأجاب في ثقة :

— سأخبرك .

وبدأ يشرح خطته ..

\*\*\*

أزاحت ( غالا ) أستار باب حجرة البرج الغربي ، وألقت نظرة طويلة صامتة على الأميرة ( جميلة ) ، وغمغمت في صوت خافت :

— يا كبرياء العرب !

وعلى المرغم من أن صوتها كان شديد الخفوت ، فقد التفتت إليها الأميرة ، والتفتت معها المعجوز ( شواهي ) ، وقالت الأميرة في اعتداد :

— هل يقلقك أمر فرارى إلى هذا الحد ، حتى تأتيين للاطمئنان على أمرى كل فترة من الزمن ؟  
قالت ( غالا ) في سخرية :

— فرارك؟! .. لا أيتها العربية ، فرارك لا يقلقنى قط ، فهو أمر غير وارد ، وإنما أتيت لأرى ما سيفعله بك الجوع .  
شمخت ( جميلة ) بأنفها ، ثم أشاحت بوجهها في كبرياء ، فأضافت ( غالا ) في حدة :

— فما دمت ترفضين طعامنا ، فسأحرمك منه أنا .

ابتسمت ( هيلة ) في استهتار ، قائلة :

— وهل يصنع هذا فارقاً ؟

هتفت ( غالا ) في غضب :

— نعم .. بالنسبة لى على الأقل .

أثارت ابتسامه ( جميلة ) المزيد من غضبها وحنقها ،

فأضافت في ثورة :

— ولتعلمى أن نجاتك من هنا مستحيلة ، فحتى لو شن علينا

والدك وجنوده هجومًا انتحاريًا رهيبًا ، ونجحوا جدلاً في بلوغ سجنك ، فلن يجدوك قطعة واحدة .. سيجدون عنقك ورأسك وحدهما ، في سلة حقيرة ، في ركن الحجرة .

هزت ( جميلة ) كتفها ، وقالت :

— لن أشعر بالألم لحظتها حتمًا أيتها القشتالية .. أليس كذلك ؟

أطلقت ( غالا ) زمجرة غاضبة ، وهتفت في حنق :

— سنرى .

واندفعت تغادر المكان كالعاصفة ..

وهنا ..

هنا فقط ، سمحت جميلة لدموعها بالانهيار من عينيها ،

وألصقت جبهتها البيضاء بحاجز النافذة ، وهي تتمم في صوت

شديد الخفوت :

— ربّاه! .. إننى أشعر بخوف هائل .. ساعدنى يارى ..

ساعدنى يارب الكون .

وانسالت دموعها الساخنة في مرارة ..

\*\*\*

كانت الشمس تميل إلى الغروب ، عندما اقترب شاب عربي  
رث الهيئة ، يركب جوادًا أبيض اللون ، له سرج مهلهل ، ولجام  
من قماش قديم ، من بوابة حصن ( قرطبة ) ، فرجع حراس  
البرج رماحهم في وجهه ، وقال أحدهم في غلظة :

— قف أيها العربي ، إلى أين تظن نفسك ذاهبًا ؟

أوقف الشاب جواده ، وهبط عن متنه ، وقال مرتبكًا :

— إننى .. إننى أريد مقابلة مولاي الملك ( فرناندو ) .

ابتسم الحارس في سخرية ، وقال :

— تقابل الملك ؟ .. شخصيًا ؟ .. من تظن نفسك

يارجل ، حتى تلتقى بملك ( قشتالة ) ؟

رَبَّت الشاب على كومة مثبتة إلى سرج الجواد ، وأجاب :

— لدى ما يهم مولاي الملك به كثيرًا .

قالها بلهجة واثقة حاسمة ، جعلت الحارسين يتبادلان نظرة

حائرة ، قبل أن يلين صوت أولهما ، وهو يسأل الشاب :

— وماذا لديك ؟

هز الشاب رأسه في حزم ، وأجاب :

— لن أخبر سوى الملك نفسه .

قال الحارس في غضب :

— ستخبرنى ، أو أقطع لسانك بسيفى هذا .

لم يبد الخوف على وجه الشاب ، وهو يجيب :

— لن يفيدك أن تعلم مالدى ، فالملك وحده سيدرك

مقصدى .

كان الشاب يتحدث في لهجة مفعمة بالثقة ، مما أقلق

الحارسين ، فمال أحدهما نحو زميله ، وسأله هامسًا :

— مارأيك ؟

أجابه زميله ، وهو يخلص النظر إلى الشاب ، الذى ظل

هادئًا صامتًا :

— لا يمكننا اتخاذ قرار بهذا الشأن ، فقد يكون ما يحمله هذا

العربي بالغ الخطورة .

قال الأول قلقًا :

— ولا يمكننا فى الوقت نفسه أن نسمح له بمقابلة الملك ،

وإلا لطار عنقانا ، لو لم يكن لديه أمر يستحق هذا .

شملهما صمت الحيرة لحظات ، ثم هتف أحدهما :

— القائد ( فاسكو ) .

تألفت عينا الثانى ، وهتف :

— نعم .. وحده يمكنه تقييم الأمر .. اسمع أيها العربي ،  
سيقودك الحراس إلى قائدنا الهمام ( فاسكو ) ، وهو سيفهم  
مالديك .

واقفهما الشاب في بساطة ، وأمسك عنان جواده ، وقاده  
خلفه داخل ساحة الحصن الكبيرة ، بحراسة أربعة رجال ، حتى  
بلغ حجرة ( فاسكو ) ، ودلف أحد الجنود إلى الحجرة ، وقال  
لقائده :

— هناك عربي يطلب مقابلة مولاي الملك ياسيدي .

عقد ( فاسكو ) حاجبيه ، وهو يقول :

— يطلب مقابلة الملك .. أي عربي أخرج هذا ؟

دلف الشاب إلى الحجرة في نفس اللحظة ، وأجاب :

— أنا .

التفت إليه ( فاسكو ) ، ورمقه بنظرة غاضبة ، وقال في

حدة :

— من سمح لك بالدخول ، أيها العربي ؟

أجابه الشاب في بساطة شديدة :

— كان الباب مفتوحًا ، فلم أتصور أن هذا محظور .

بدا الغضب لحظة على وجه ( فاسكو ) ، إلا أن بساطة  
الشاب بدت له طبيعية للغاية ، حتى أن ملامحه لم تلبث أن  
لانت ، وقال :

— حسنًا .. ماذا لديك ، مما يستحق مقابلة الملك

شخصيًا ؟

أجابه الشاب :

— إنني أحمل إليه بعض الثياب ، وسيفًا وخوذة .

حدَّق ( فاسكو ) في وجه الشاب بدهشة شديدة ، كما لو

كان يحدَّق في وجه مجنون ، ثم عاد يعقد حاجبيه ، قائلاً في

استنكار :

— بعض الثياب وسيف وخوذة؟! .. أتصور أن مولانا

الملك ( فرناندو الخامس ) سيلتقى بعربي حقير مثلك ، من أجل

هدية تافهة كهذه ؟

ابتسم الشاب وأجاب :

— معذرة يا قائد الحرس الملكي ، ولكن يبدو أنه قد حدث

سوء فهم غير مقصود ، فليس ما أحمله مجرد هدية .. إنه رمز

ودليل .

هتف به ( فاسكو ) :

— رمز ماذا ؟ ودليل ماذا يارجل ؟ .. أفصح ، فلست  
أميل إلى حديث الغموض هذا .

تردد الشاب لحظة ، ثم قال في حزم :

— عفواً أيها القائد ، ولكن لا ينبغي أبداً أن أقص ما لدى ،

إلا على مسامح مولاي الملك شخصياً ، و.....

صرخ ( فاسكو ) غاضباً ، وهو يهتف من مقعده ، ويستل

سيفه :

— ويحك أيها العربي !! كيف ترفض طاعة أوامر

( فاسكو دي مال ) ، قائد الحرس الملكي القشتالي ؟! ..

تراجع الشاب خطوة ، متحاشياً ذبابة السيف ، إلا أن

وجهه ظل خالياً من آثار الخوف ، وبدا من انفراجه شفثيه أنه

يهم بقول شيء ما ، لولا أن اندفع وصيف الملك داخل حجرة

( فاسكو ) ، وقال في لهفة :

— التحية لقائد الحرس الملكي .

خفض ( فاسكو ) سيفه ، وعقد حاجبيه ، وهو يرفع عينيه

إلى الوصيف ، قائلاً :

— ماذا تريد يا وصيف الملك ؟

نقل الوصيف بصره في سرعة ، بين ( فاسكو ) والشاب ،

ثم ابتسم ابتسامة عجيبة ، بدت وكأنها تحمل خبث الدنيا كله ،

وهو يقول :

— مولاي الملك يطلب إرسال الشاب العربي إليه .

بدا الشاب العربي هادئاً ، وكأنما الأمر لا يعنيه ، في حين

اتسعت عيناه ( فاسكو ) في دهشة أقرب إلى الدهول ، وهو

يحدق في وجه الوصيف ، قبل أن يتراجع ، ويتعقد حاجباه في

غضب شديد ، قائلاً :

— يبدو أن لمولاي الملك شبكة من أنشط الجواسيس ،

داخل أسوار الحصن .

اكتفى الوصيف بابتسامته الخبيثة ، دون أن يجيب ، فاستفز

هذا ( فاسكو ) ، إلى حد جعل صوته يعلو ويحتد ، وهو يقول :

— ثري ماذا كان سيفعل مولانا الملك ، لو أنني فقدت

أعصابي ، وقتلت ذلك العربي ، قبل أن تصل أنت إلى هنا ؟

مطاً الوصيف شفثيه ، وهز كفتيه في لامبالاة ، وهو يقول :

— سيكون هذا حكم القدر .

قال ( فاسكو ) في غضب :

— هكذا؟! .. قل لمولاك : إن القدر قد سبق مطلبه إذن .  
وبسرعة يدفعها الغضب ، استلّ ( فاسكو ) سيفه من  
غمده ، وهوى به على عنق الشاب العربي ..  
على عنق ( فارس ) ..  
فارس الأندلس ..

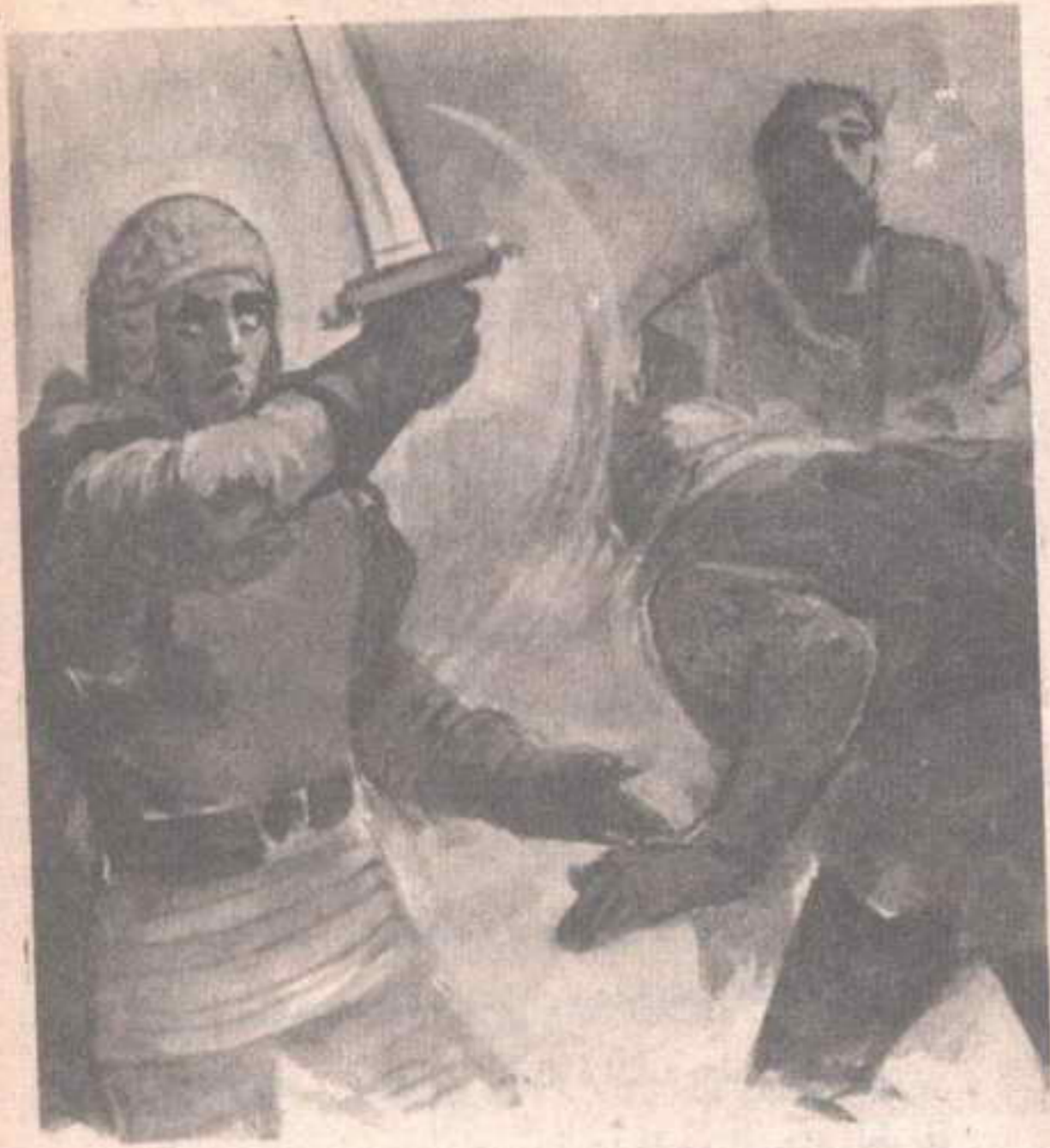
\*\*\*



## ٥ — عرين الفئران ..

لم يشكّ وصيف الملك لحظة ، وهو يشاهد هذا الموقف ، في  
أن السيف سيجترّ عنق الشاب العربي من جذره ..  
ولكن هذا الشاب لم يكن عربيًا عاديًا ..  
لقد كان ( فارس ) ..  
( فارس ) ، الذي تلقى العلم والفروسية ، منذ تفتّحت  
عيناه للدنيا ..  
( فارس الأندلس ) ..

ولم يكن هذا الموقف رهيبًا بالنسبة لـ ( فارس ) ، فلقد درّبه  
( مهاب ) طويلًا على مواقف وأحداث مشابهة ، حتى خلق منه  
شابًا لا يبالي بالمفاجآت ، أو تهتز شعرة واحدة من جسده لها ..  
وبالنسبة لـ ( فارس ) ، لم يكن ذلك السيف ، الذي يهوى  
على عنقه ، أكثر من عصا تدريب ، اعتاد ( مهاب ) مباغتته  
بها ، دون سابق إنذار ..



انحنى ( فارس ) في سرعة مدهشة ، وثنى جسده في مرونة فائقة ، ثم تراجع في خفة ، وقفز إلى الخلف ..

( م ٥٦ - فارس الأندلس (٢) الأميرة الأسيرة )

وتمامًا كما كان يفعل في أثناء التدريبات ، انحنى ( فارس ) في سرعة مدهشة ، وثنى جسده في مرونة فائقة ، ثم تراجع في خفة ، وقفز إلى الخلف ، وامتدت يده على نحو غريزي إلى مقبض سيف وهمي ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى أنه لا يتمنطق بسيفه ، فأعاد يده إلى جواره ، ووقف ثابتًا ..

وجن جنون ( فاسكو ) ، عندما أفلت ( فارس ) من سيفه ، بكل هذه البساطة والرشاقة ، فصرخ :

— هل تتحداني أيها العربي ؟

ارتفع سيفه مرة أخرى ، ولكن الوصيف اعترض طريقه هذه المرة ، وهو يقول في حزم :

— ويحك يا ( فاسكو ) !! إنك أنت الذي يتحدى أوامر

الملك !

أراد ( فاسكو ) أن يزيح الوصيف عن طريقه في حدة ، إلا أن عقله قد استيقظ بغتة ، وأدرك أنه حقًا يتحدى أوامر الملك ، وأنه لن يحتمل مغبة هذا ، إذا ما غضب الملك ، فرمق ( فارس ) بنظرة نارية ، وأعاد سيفه إلى غمده في غضب ، وهو يقول :

— فليكن أيها الوصيف .. اصطحب العربي إلى الملك .

ثم أردف في حدة :



— ولكن حذار .. حذار أن تكون في هذا خسارة كل شيء .

ابتسم الوصيف في خبث وظفر ، وقال :

— اطمئن يا قائد الحرس .. الملك يتخذ كل أساليب الحيلة

والحذر دائماً .

ثم التفت إلى ( فارس ) ، واستطرد :

— اتبعني يا فتى .

اتجه ( فارس ) في هدوء إلى جواده ، وانتزع من فوقه تلك

الكومة ، وحملها على كتفه ، وتبع الوصيف في هدوء إلى

العرين ..

عرين الملك ..

\*\*\*

تطلع ( قاسم ) و ( مهاب ) إلى حصن ( قرطبة ) ، من

فوق ربوة عالية ، وتمتم الأوّل في قلق واضح :

— إنهم يشعلون المشاعل ، وهذا يعني أن الظلام قد ساد

تماماً ، ولم يُرسل ( فارس ) إشارة البدء بعد .

أجابه ( مهاب ) ، وهو يُعدّ عدداً من السهام الطويلة :

— لا تجعل هذا يقلقك .. لقد درّبت ( فارس ) بنفسى ،

وأعلم جيّداً كيف يتصرّف ، في مثل هذه المواقف .

قال ( قاسم ) ، ولم يزايله قلقه بعد :

— ولكنها أوّل مرة يعمل فيها ، في قلب أرض أعدائه .

أجابه ( مهاب ) في اقتضاب :

— اطمئن .

حاول أن يتشاغل بإعداد السهام ، إلا أن القلق لم يلبث أن

تسلّل إلى نفسه ، وهو يتصوّر ( فارس ) وحيداً ، في قلب

حصن ( قرطبة ) ، محاطاً بالقشتاليين وملكهم ، فأزاح السهام

جانباً ، وقال :

— هل تعلم ما الذي صنعناه من ( فارس ) هذا

يا ( قاسم ) ؟ .. لقد صنعنا منه فارساً لأمثل له .. فارساً

لا يشقّ له غبار بحق ، فقد حملناه من حصن ( قرطبة ) رضيعاً ،

بعد أن خسر والده — رحمه الله — معركة الأخيرة ، ولقى

مصرعه وهو يحمل سيفه ، ورحلنا به أنا والوزير إلى

( غرناطة ) ، وهناك بدأ الوزير يرعى الأمير الصغير ، وعلمه

الحكمة والعلم مع النطق ، وجعل منه ثعلباً واسع الحيلة ، جمّ

الذكاء ، شديد الإخلاص لربه ودينه ووطنه ، وفي نفس الوقت

كنت أعلمه أنا فنون الفروسية والقتال ، فاجتمع هذا وذاك ،

.....

فاطمة ( قاسم ) ، مبتسماً في إشفاق :

— هل تحاول إزالة توترك ؟

صمت ( مهاب ) لحظات ، وهو يتطلع إليه ، ثم أشاح بوجهه ، وعاد إلى اهتمامه بالسهم ، وهو يغمغم :

— ما زلت تجيد فهمي تمامًا يا رجل .

اتسعت ابتسامته ( قاسم ) ، وهو يقول :

— لأنك لم تتغير أبدًا يا قائد الفرسان .

ثم عاد يلتفت إلى الحصن ، مستطرذا :

— ولكن دعنا من هذا ، ولنتنظر إشارة ( فارس ) .

وجلسا ينتظران في صمت ..

\*\*\*

لَف ( فرناندو ) حرملته على ساعده الأيسر ، وهو يتكى به على مسند عرشه الضخم ، الذي يتصدّر بهو الملك ، في قلب حصن قرطبة ، وأشار إلى حراس البهو العشرة بالتأهب ، فاستل كل منهم سيفه ، ورفع مجته إلى صدره ، مما جعل الملك يتسم في زهو وثقة ، ويرتكن بذقنه إلى قبضته اليمنى ، متطلعًا إلى ( فارس ) والكومة التي يحملها ، قبل أن يقول في هدوء :

— والآن أيها العربي ، هأنذا في حضرة ( فرناندو ) ، ملك ( قشتالة ) ، وأمير ( قرطبة ) ، وملك ( غرناطة ) في القريب العاجل ، فماذا لديك ؟

٦٨١

شَد ( فارس ) قامته في اعتداد ، وقال :

— لقد قتلت جاسوسًا عربيًا ، من أجلك يا مولاي ؟

رفع ( فرناندو ) حاجبيه ، في حركة بدت واضحة الاضطناع ، وهو يقول :

— حقًا؟! .. من أجلى أنا ؟

لم ينبس ( فارس ) ببنت شفة ، فمال ( فرناندو ) إلى الأمام ، وأضاف :

— وكيف علمت أنه جاسوس ، وأنه سيهمني أمره ؟

قال ( فارس ) في حزم :

— ثيابه أنبأتني بهذا يا مولاي .

وبحركة سريعة ، حلَّ كُومَة الثياب ، وتركها تسقط أرضًا ..

واتجهت كل الأبصار إلى الثياب ..

وشهق ( فرناندو ) مأخوذًا ..

لقد بدا أمامه ذلك الثوب الأبيض ، ذو الحرملة الخضراء ، والنطاق الأخضر ذو السيف العربي القوي ، والحوذة الفضية ،

التي التمعت تحت أضواء المشاعل القوية في بهو الملك ..

وهتف ( فرناندو ) بصوت خنقه الانفعال :

٦٩

كانت هذه وسيلتها الأولى ؛ لفرض سيطرتها على الحصن ، -  
ولاكتساب رضا سيديها : الملك والملكة ..  
وبناء على أوامرها ..

الملكة تأمرها بالتجسس على الملك ، والعكس بالعكس ..  
(و غالبا) تطيعهما بلا تردد ، وهي تتساءل في أعماقها عن  
روح الدسائس والمؤامرات ، التي تسود كل القصور الملكية  
الأوروبية ..

وتسأل نفسها : كيف يحيا الملك والملكة كزوجين ،  
وكلاهما يبغي الآخر ، ويشك فيه إلى هذا الحد ؟ ..

والجواب لديها أبدا هو : إنهم ملوك ..  
عبارة مبهمة ، ولكنها كانت تعني لها الكثير ، بعد أن عاشت  
حياتها كلها في أروقة قصور ( أوروبا ) ..

إنها تعلم أن الملك لا يتزوج إلا ملكة أو أميرة ..  
ولاشأن لهذا بالحب ..

بل لا وجود لكلمة الحب ، في قلوب سادة ( أوروبا ) ..  
قد يهواها الملك ، ويخلو له أن يتسلل إلى حجرتها ، دون أن  
تملك هي اعتراضا ، ولكن حتى هذا لا يعنى أنه يجبها ..

إنه فقط يميل إليها ، كما يميل إلى أية تحفة جميلة في قصره ..  
وحتى هذا لم يكن يعينها ..  
لقد ألفتها ..

— من أين أتيت بهذه الثياب ؟

أجابه ( فارس ) في اعتداد :

— من الجاسوس القليل يا مولاي ؟

راح وصيف الملك يحدق في وجه ( فارس ) في حدة ، في

حين هتف الملك ، وهو يلهث من فرط الانفعال :

— وأين جثته ؟ .. أين جثة هذا الجاسوس ؟

هتف الوصيف فجأة :

— هاهي ذى ..

قالها وهو يشير إلى ذلك الذي يقف على بعد خمسة أمتار من

العرش ..

إلى ( فارس ) ..

\*\*\*

تسللت ( غالبا ) في حذر ، إلى ذلك الممر القصير ، خلف

العرش الملكي تماما ، وتوقفت صامتة ، ترهف سمعها لمعرفة

ما يدور في البهو الملكي ..

هكذا اعتادت أن تفعل ، منذ انتقالها للعيش في حصن

( قرطبة ) ..

أن تسترق السمع ..

وفي هذه المرة ، وهي تسترق السمع إلى ما يحدث في البهو الملكي ، كانت كعادتها لا تهتم بالتفاصيل ، بقدر ما يهتمها المضمون ، الذي ستقله إلى الملكة ، ولكنها سمعت الوصيف يهتف :

— هاهي ذى .. هاهي ذى الجثة يامولاي .

اختلست النظر إلى البهو ، عبر فرجة صغيرة في أستار المدخل ، ولكنها لم تر أمامها أية جثث ، بل رأت عربيًا وسيما ، بدا لها بالضبط من ذلك الطراز الذي يروق لها ، فهو قوى ، مفتول العضلات ، ممشوق القوام ، وسيم الملامح ، واضح الثقة والاعتدال ، حازم الصوت وهو يقول :

— أية جثة أيها الوصيف ؟

سمعت الوصيف يهتف في انفعال شديد :

— انظر إليه جيّدًا يامولاي .. إنه يحمل نفس الملامح .. إنه نسخة طبق الأصل من ذلك الأمير العربي القرطبي .. إنه ابنه يامولاي .. ابنه الذي اختفى مع الوزير وقائد الفرسان ، منذ ما يقرب من عشرين عامًا .

لم تر ( غالا ) انعقاد حاجبي الملك ، ولا ذلك التوتر ، الذي شمل أصابعه ، فقبضت في قوة على مسندى عرشه ، وهو يقول في حدة :

— هو ؟! .. أهو ذلك الفارس الأبيض ، الذي قتل ( رودريك ) ؟! ..

عند تلك العبارة الأخيرة فقط استيقظت حواس ( غالا ) كلها ..

إذن فهذا هو العربي الذي قتل ( رودريك ) .. حبيبها ( رودريك ) (\*) ..

وفي كراهية وبغض لا حدود لهما ، استلّت ( غالا ) من طيات ثيابها خنجرًا مسمومًا ، واتخذت في أعماقها قرارًا حازمًا ..

مهما كان ما سيحدث ، فهي لن تتراجع عما اعتزمته ، منذ علمت بمصرع ( رودريك ) ..

إن أعماقها لا تحمل الآن سوى شعور واحد .. الانتقام ..

الانتقام الأسود ..

\*\*\*

(\*) راجع الرواية الأولى .. ( جاسوس قرطبة ) ..

على الرغم من دقة الموقف وخطورته ، لم يبد أدنى أثر للخوف على وجه ( فارس ) أو صوته ، وهو يلوح بكفه في لامبالاة ، ويقول :

— أى ملاح وأى فارس أيها الملك ؟.. هل ستصدق هديان وصيفك الأخرق هذا ؟

صاح الوصيف غاضبًا :

— هل رأيت يا مولاي ؟.. من غير ذلك الفارس الأندلسي الأبيض يجرؤ على مخاطبتك بـ ( أيها الملك ) ؟

ابتسم ( فرناندو ) ، وأشار إلى حراسه العشرة بالتأهب ، وهو يقول :

— اطمئن يا وصيفي .. إننى أصدقك ؛ فتشابه الملاح أكبر مما يمكن تجاهله .

ثم أضاف موجها حديثه إلى ( فارس ) :

— لقد وقعت أيها العربي .. حذار أن يخدعك عقلك ، ويدفعك إلى إثيان عمل أخرج ، وأنت أعزل من السلاح ، وعشرة من أقوى رجالى يحيطون بك .

ابتسم ( فارس ) ، وقال :

— هذا يتوقف على ما يمكن تسميته بالعمل الأخرق يا مولاي ، فهل هو عمل كهذا مثلاً ؟

قالها والتقط كرة صغيرة من حزامه ، وألقاها عبر نافذة البهو الملكي ، فهوت إلى ساحة الحصن ، وتحطمت بدوى شديد ، فتحفز الحراس العشرة للانقضاض عليه ، ولكن الملك أشار إليهم بالانتظار ، وعقد حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

— هل يحلو لك العبث في بلاطى أيها العربي ؟.. أتعلم عقوبة هذا ؟

رفع ( فارس ) يديه إلى جانبيه ، وقال في هدوء :

— لا أيها الملك .. إننى أجهلها .

هتف ( فرناندو ) في سخط :

— إنها الإعدام .

أعاد ( فارس ) كفيه إلى جواره ، وقال :

— أحقًا !؟

نطقها في لهجة شديدة الاستهتار ، حتى أن ( فرناندو ) هب واقفاً عن عرشه في غضب ، ورفع يده أمام جسده ، وهو يقول في حدة :

— حكمت على نفسك بالإعدام أيها العربي .

ثم أشار إلى جنوده ، مستطرذاً في صرامة :

اقتلوه .

وانقض الجنود على ( فارس ) ..

\*\*\*

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفתי الشيخ ، وهو ينهض لاستقبال ملك ( غرناطة ) و ( الأندلس الصغرى ) ، الذى أوقف جواده بين خيام المعسكر الثلاث ، وترجل عنه أمام الشيخ تماماً ، فانحنى الشيخ نصف انحناءه ، وقال :  
— أى حظ أحاط بنا فى هذه الأيام يا مولاي ؟ .. لقد كثرت زيارتك لنا ، فى الآونة الأخيرة .

أجابه الملك فى قلق :

— أنت تعلم لماذا أيها الوزير .

أوماً الشيخ برأسه إيجاباً ، وقال :

— نعم .. أعلم يا مولاي .

جلس الملك على صخرة مجاورة ، متناسياً مقامه الملكى ، أو متجاهلاً إياه فى حضرة الشيخ ، وسأل فى اهتمام بالغ :

— هل أتت أية أخبار جديدة ؟

هزّ الشيخ رأسه نفيًا ، وأجاب :

— لا .. ليس بعد .

تنهّد الملك فى توتر ، وقال :

— أخشى أن يكونوا قد أوقعوا بهم هناك .

ابتسم الشيخ ، وقال :

— لا .. اطمئن .. لم يحدث هذا .

التفت إليه الملك ، يسأله فى اهتمام :

— كيف تقولها بكل هذه الثقة ؟

بدت ابتسامة الشيخ غامضة ، وهو يقول :

— إن لدينا أساليبنا .

رآن عليهما الصمت لحظات ، تطلّع فيها الملك إلى الشيخ

بنظرات حائرة ، قبل أن يشيخ بوجهه ، ويسأله :

— أتظنهم سينجحون فى مهمتهم ؟

أشار الشيخ بسبّابته إلى السماء ، وهو يقول :

— الغيب فى علم الله ( سبحانه وتعالى ) وحده .

رفع الملك عينيه إلى السماء بدوره ، وقال :

— نعم .. فى علم الله وحده .

ثم وضع يده على قلبه ، واستطرد فى حرارة :

— ساعدهم يا إلهى ! .. وأعد إلتى ابنتى ( جميلة ) ..

ساعدهم يارب العالمين ..

وبدت له النجوم وكأنما اختلفت في تلك اللحظة ..  
وازدادت تألقاً ..

\*\*\*

بدأ التوتر يسرى في جسدى ( مهاب ) و ( قاسم ) ، بعد  
أن انتهى الأول من إعداد السهام ، وكلّ الثاني من مراقبة  
الحصن ، فغمغم ( قاسم ) متوتراً :  
— لماذا لم يرسل الإشارة حتى الآن ؟ .. أخشى أن يكونوا  
قد ..

قاطعته ( مهاب ) في جدة :

— لا تقلها ..

وصمت لحظة ، ثم استطرد في عصبية :

— لاشك أن ( فارس ) سيحسن أداء عمله .. قلت لك

إنه ثعلب .

تمتم ( قاسم ) ، في صوت يشف عن توتره :

— ثعلب وسط قطع من الذئاب ..

هوت العبارة على قلب ( مهاب ) كخنجر ملتهب ، فخفق

قلبه في عنف ، وارتجفت أطرافه كلها ، وهم بقول شيء ما ..

ثم جاءت الإشارة ..

جاءت على هيئة كرة من الزجاج المكسور بالجلد ، اندفعت  
عبر نافذة البهو الملكي ، وهوت في منتصف ساحة الحصن ،  
وانفجرت بدوى شديد ، وصنعت الكثير من الجلبة والارتباك  
والهرج ، فهبّ ( قاسم ) معتدلاً ، وهو يقول في لهفة :

— هاهى ذى الإشارة .

أشار إليه ( مهاب ) في انفعال ، هاتفاً :

— أوقد النار .. هيا .. بسرعة .

أسرع ( قاسم ) يشعل وعاء من النار ، في حين شدّ  
( مهاب ) وتر قوسه ، وحمل السهام ، ووضع رءوسها في قلب  
النار ، ثم التقط أحدها ، وقد اشتعل رأسه ، والتقط ( قاسم )  
آخر ، ووضعاهما في وترى قوسيهما ، وصوباهما إلى القلعة ،  
وقال ( مهاب ) :

— هيا يارجل .. فلنبداً على بركة الله .

وأطلقا السهمين ..

\*\*\*

كان حراس الملك العشرة ، مع تحفظهم وتوترهم ، متأهبين  
أشد التأهب لبدء القتال ، الذى بدا لهم في الواقع مجرد عملية  
إعدام سريعة لرجل أعزل ، عندما يهاجمونه كلهم بسيوفهم ..

وكانت العملية تبدو بنفس المضمون تقريبًا ، بالنسبة  
للملك ..

ثم حدثت المفاجأة ..

سهمان مشتعلان عبر اسماء الحصن ، كشهابين من نار ، ثم  
اخرقا نافذة البهو الملكي ، وانغرسا وسط البهو تمامًا ..

وتراجع الفرسان العشرة ، والمك ووصيفه في دهشة ..  
وقفز ( فارس ) ..

في سرعة مدهشة ، ومرونة ليس لها نظير في عصره ، وثب  
( فارس ) نحو ثيابه والتقط السيف ذا المقبض الأخضر ..  
سيف والده ..

وهنا انتبه الفرسان العشرة للأمر ..

وتوالى انهمار السهام المشتعلة داخل البهو الملكي ، وفي كل  
أرجاء الحصن ، وعبر كل نوافذه ، حتى نافذة جناح الملكة ..

وتعالت صرخات الجميع ..

وساد الهرج والمرج ..

وصرخ الوصيف :

— النار !! النجدة !!

ومع صرخته ، اندفع الفرسان العشرة مرة أخرى نحو  
( فارس ) ، الذي أطلق صيحة زلزلت قلوبهم ، وانقضَّ على  
سيوفهم بسيفه ، فأطاح بسيف ، وحطم مقبض الثاني ، ثم  
تراجع في رشاقة ، وقفز نحو العرش الملكي ..

وصرخ الوصيف :

— لا.. ليس الملك .

وأطلق الملك شهقة دهشة وفرع ، عندما هبط ( فارس )  
إلى جواره ، ووضع سيفه على عنقه ، وقال في صرامة :

— هل سيواصل فرسانك القتال أيها الملك ؟

لوح الملك بكفه ، وهتف :

— لا.. لا.. ألقوا سيوفكم .

تردَّد الفرسان لحظة ، ثم ألقوا سيوفهم في حلق ، وهتف  
الوصيف ملتاغًا :

— لاتمسن الملك بسوء .. أتوسل إليك .

قال له ( فارس ) في صرامة :

— احمل ثيابي واتبعنا أيها الحقيير .

سأله الملك في توتر :

— إلى أين ؟



أجابه ( فارس ) :

— إلى برج الحصن الغربي أيها الملك .. سنبدل حياة بحياة ..  
حياتك مقابل أميرتنا العربية .

عضَّ الملك نواجذه في غضب ، وهو يقول :

— وهل تتصوّر أنك ستخرج بها من هنا حيًّا ؟

أجابه ( فارس ) في لهجة أقرب إلى السخرية :

— لا شأن لك بهذا .

قال الملك في غضب :

— أنت وقح أيها العربي .

دفعه ( فارس ) أمامه ، وهو يقول :

— فليكن يا ملك القشتاليين ، سنوَجِّل مناقشة هذا لما بعد ،

أما الآن فسندهب معًا إلى برج الحصن الغربي ، وأنت أيها

الوصيف ، احمل ملابسك معك .

وفجأة ، اندفعت ( غالا ) تعبر أستار المدخل الخلفي ،

وهي ترفع خنجرها ، وتصرخ في ثورة غضب مفعمة

بالكراهية :

— لن تذهب بعيدًا أيها العربي ، ستموت هنا .

وقفزت بخنجرها نحو قلب ( فارس ) ..

\*\*\*



وأطلق الملك شهقة دهشة وفزع ، عندما هبط ( فارس ) إلى جواره ،  
ووضع سيفه على عنقه ..

تفجرت ثورة غضب هائلة ، في أعماق ( فاسكو دي مال ) ، قائد الحرس الملكي ، عندما راحت السهام المشتعلة الرءوس تهوى على الحصن ، وتشعل النيران في أرجائه ، وتثير الهرج والمرج في كل مكان فيه ، فصرخ في رجاله :  
— التزموا أيها الجنود .. لاتجعلوا بعض السهام ترهبكم وتشتكم ، كقطع من الأغنام المدعورة .

ولكن صرخاته ضاعت سدى ، وسط الهرج والمرج ، فرفع بصره في غضب أكثر إلى حيث تنطلق السهام ، التي بدت كمدنبات ملتهبة ، وضائق حدقاته وهو يغمغم لنفسه في توتر :  
— إنهما اثنان فحسب ، ولكنهما يجيدان إطلاق النشاب .  
ثم اتجه نحو جواده ، وجذب عنانه هاتفاً :  
— اثبت أيها الجواد .. لاتجعل النيران تخيفك كهذا القطيع الغبي .

وثب على صهوة الجواد ، وراح يجذب عنانه في قوة ، محاولاً السيطرة على خوف الجواد وذعره ، وحانت منه التفاتة إلى الجواد الأبيض ، ذى السرج الرث ، واللجام المهترئ ، الذي تركه خلفه الشاب العربي ، وأدهشه أن بدا الجواد متماسكاً ، يضرب الأرض بحافريه الأماميين في قوة ، كما لو أن مرأى النيران لا يخيفه أو يرهبه ، فتمتم ( فاسكو ) :

— عجباً !!.. إما أن هذا الجواد أعمى أخرج ، أو...  
صمت لحظة ، ثم عقد حاجبيه في شك ، مستطرذاً :  
— أو أنه قد ذُرب على مواجهة النيران .  
فكّر في الموقف لحظة ، ثم لم يلبث أن ألقاه خلف ظهره ، وهو يرفع عينيه إلى حيث تنطلق السهام المشتعلة ، ويقول في صرامة :

— أقسم أن أقطع أيديكما ، عندما أبلغكما أيها المخربين .  
وانطلق نحو بوابة الحصن ، هاتفاً بحارسيه :  
— افتحوا الأبواب .  
أسرع الحارسان يفتحان البوابة ، ويرفعان الحاجز الحديدي أمام قائدهما ، الذي انطلق نحو التلّ المواجه للحصن ، مستطرذاً :

— الويل لكما ..  
— واستل سيفه المتعطش للدماء ..  
دماء العرب ..

\*\*\*

جاءت انقضاضة ( غالا ) مفاجئة بالنسبة لـ ( فارس )  
حقاً ، إلا أن ( فارس ) لم يكن بالذي ترهبه أو تهزمه المفاجأة ..

لقد اعتاد مواجهة المفاجآت منذ نعومة أظفاره ..

منذ تعهده ( مهاب ) والوزير برعايتهما ..

ولقد رأى ( فارس ) خنجر ( غالا ) ينقض على قلبه ..

ورأى ( غالا ) ..

ولجزء من اللحظة ، لفت جمال ( غالا ) وفتنتها انتباه

( فارس ) ، ثم لم يلبث أن طرح هذا جانبًا ، أمام الخنجر الذى

تحمله ، فجذب الملك جانبًا ، ووثب معه إلى الخلف ، ورفع

سيفه فى خفة ، وأداره فى الهواء ، وضرب خنجر ( غالا )

بذبابته ضربة شديدة المهارة والخفة ، أطاحت بالخنجر ، دون

أن تمس أنامل ( غالا ) ، التى توقفت مبهوتة ذاهلة ، تحدق فى

وجه ( فارس ) ، الذى أعاد سيفه إلى عنق الملك ،

وقال فى صرامة :

— ابتعدى أيتها القشتالية ، فليس من شيمة العرب أن

يقاتلوا النساء .

صرخت به :

— أيقتلون فرساننا غيلة وغدرًا ؟

وصاح بها غاضبًا :

— ويحك يا امرأة!!.. ليس العرب من يقتلون غدرًا وغيلة .

صرخت :

— أنت فعلتها .. أنت قتلت ( رودريك ) هكذا .

استعاد ذهن ( فارس ) مشاهد قتاله مع ( رودريك ) ،

جاسوس ( قرطبة ) ، الذى حاول سلب خريطة الدفاعات

الأندلسية ، ثم واجه ( غالا ) ، وقال فى حزم ، ولهجة واثقة :

— لقد لقي ( رودريك ) مصرعه فى قتال عادل .

قالت فى ثورة :

— بل مات بسهم فى عنقه .

عقد حاجبيه ، قائلاً :

— لم أطلق أنا ذلك السهم .

هبط على الجميع صمت ثقيل ، و ( غالا ) تتطلع إلى

( فارس ) فى بغض هائل ، ثم لم تلبث أن اندفعت تغادر القاعة

فى حنق وسخط واضحين ، فقال الملك فى عصبية :

— لو أننى فى موضعك لقتلتها بلا رحمة .

أجابه ( فارس ) فى صرامة :

— من حسن حظها أنك لم تكن فى موضعى .

ثم دفعه أمامه ، مستطرذاً فى حزم :

— والآن هيا ..

— فليكن .. إن فارسًا عربيًا واحدًا يكفى .

قالت ( غالا ) فى مقت:

— هكذا ١٢ .

ثم رفعت فى وجه الأميرة خنجرًا ماضيًا ، وأضافت فى بغض  
بلا حدود :

— لقد وعدتك أيتها الأميرة .. لن يجدوا رأسك على  
جسدك .

وانقضت على ( جميلة ) فى وحشية ..  
وحشية المهزوم ..

\*\*\*



وانطلقا نحو برج الحصن الغربى ..

حيث الأميرة العربية ..

الأميرة الأسيرة ..

\*\*\*

التفتت ( جميلة ) فى انفعال إلى باب حجرة البرج الغربى ،  
حيث برزت ( غالا ) ، ووجهها الفاتن يزداد احمرارًا فى حنى ،  
وسألها فى لهفة :

— إنه والدى .. أليس كذلك ؟ .. لقد أرسل جيشًا  
لإنقاذى .. أعلم هذا ..

لقد شاهدت السهام المشتعلة تهبط على الحصن .

صاحت بها ( غالا ) فى حدة :

— أخطأت أيتها الأميرة .. إن والدك الأحق لم يرسل سوى  
فارس واحد .

بهتت الأميرة لسماع هذا ، وغمغمت فى ارتياح :

— فارس واحد ١٢ .

انهار الأمل فى نفسها لحظات ، إلا أن كبرياءها لم يلبث أن  
هزم يأسها ، فرفعت رأسها فى اعتداد ، وأضافت :

## ٧ - القادة .. مندى الربيعي لولو

أطلق ( قاسم ) ضحكة عالية ، متخمة بمُخْتَلِف الانفعالات ، وهو يلتقط سهمًا آخر مشتعلًا ، ويدسّ قاعدته في وتر قوسه ، ويصوبه نحو الحصن ، هاتفاً :

— انظر ماذا فعلنا يا صديقي .. لقد أثرنا الهرج والمرج في حصن كامل وحدنا .. تمامًا كالأيام الخوالي .

أطلق ( مهاب ) سهمًا مشتعلًا نحو الحصن ، وهو يقول :

— نعم يا رجل .. تمامًا كالأيام الخوالي ، فأنت لم تفقد مهارتك في التصويب أبدًا .

أطلق ( قاسم ) ضحكة أخرى ، وقال :

— بالتأكيد .. ولكنني لن أبلغ أبدًا نصف مهارة ( مهاب ) ، قائد فرسان الأمير الـ .....

قاطعته صوت محقق يقول :

— كان ينبغي أن أتوقع هذا .

التفت الاثنان في حركة حادة إلى مصدر الصوت ، وهب

( مهاب ) واقفاً ، وهو يعقد حاجبيه قائلاً :

— ( فاسكو دي مال ) .. قائد الحرس الملكي مطاً ( فاسكو ) شفتيه ، وهو يستل سيفه ، قائلاً :

— إذن فما زلت تذكرني يا ( مهاب ) .. ما أطرف هذا !! إننا لم نلتق منذ ما يقرب من عشرين عامًا ، عندما كان كلانا أكثر شبابًا وقوة ..

ثم حملت عيناه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

— منذ أجبرتك على الفرار إلى ( غرناطة ) ، بعد مصرع أميرك .

استل ( مهاب ) سيفه بدوره ، وهو يقول :

— نعم يا ( فاسكو ) .. ما زلت أذكر هذا ، وأتوق إلى الانتقام .

رفع ( فاسكو ) سيفه ، وانعقد حاجباه في شراسة ، وهو يقول :

— حسنًا أيها العربي .. سيسعدني أن أذيبك هزيمة جديدة .

صاح ( مهاب ) :

— فليكن يا ( فاسكو ) .

والتقى سيفاهما في مبارزة رهية ..

مبارزة حتى الموت ..

\*\*\*

لم تكن الأميرة ( جميلة ) تتوقع انقضاضة ( غالاً ) هذه ، إلا  
أن هذا لم يمنعها من تفادياها بوثة جانبية ، وهي تهتف غاضبة :  
— أتقتلين فتاة عزلاء أيتها القشتالية ؟  
صاحت ( غالاً ) ، وهي تلتفت إليها في غضب :  
— لن يستعيدك قومك حية أيتها العربية .. لقد أقسمت .  
اندفعت مرة أخرى نحو ( جميلة ) ، التي راوغتها في  
صعوبة ، وصاحت :

— ويحك أيتها القشتالية !! لن يغفر لك أبى هذا أبداً .  
أطلقت ( غالاً ) ضحكة عصبية شرسة ، وهي تقول :  
— لن يغفر لي ؟! .. يا لسخافتك أيتها العربية !  
هوت بخنجرها مرة أخرى على ( جميلة ) ، ولكن ( جميلة )  
تفادتها ثانية ، وراحت تلهث خوفاً وانفعالاً ، وهي تقول  
محنقة :  
— لو أننى أمسك خنجرًا ، ما كنت بكل هذه الشجاعة .  
توقفت ( غالاً ) ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خبيثة  
غامضة ، لم تفهم ( جميلة ) مغزاها ، و ( غالاً ) تقول في  
سخرية :  
— لقد سئمت العدو خلفك أيتها العربية .

ثم صرخت بغتة :

— ( شواهى ) .  
لحظتها فقط أدركت الأميرة سر ابتسامه ( غالاً ) ، عندما  
انقضت عليها العجوز ( شواهى ) من الخلف ، وكبلتها  
بساعدتها في قوة ، وهتفت بـ ( غالاً ) :  
— لقد أمسكت بها ياسيدتى .. هيا .. أطعنيها .. فى القلب  
مباشرة .

ورفعت ( غالاً ) خنجرها صارخة :  
— إلى الجحيم أيتها العربية .. إلى الجحيم .  
وهوت بخنجرها ..

\*\*\*

فجأة اقتحم ( فارس ) الحجرة ، وهو يدفع أمامه الملك ..  
وفى لحظة قصيرة للغاية ، استوعب الموقف كله ..  
وفى اللحظة التالية كان يدفع الملك جانباً ، ويشب كالفهد  
نحو ( غالاً ) ، ويجذبها من شعرها فى قسوة ..  
وأطلقت ( غالاً ) صرخة ألم وفزع ودهشة ، وهوى  
خنجرها ، ولكن جذب ( فارس ) لها جعل الخنجر يطعن  
الهواء ، قبل أن ينتزع منها ( فارس ) الخنجر بحركة سريعة قوية ،  
ثم يدفعها جانباً ، ويشب مرة أخرى إلى حيث الملك ، ويضع  
سيفه على عنقه ثانية ، قائلاً فى صرامة :

— سأقتل مليكك بلا رحمة ، لو أقدمت على عمل أخرق  
آخر .

هتف الملك بـ ( غالا ) في عصبية :

— كفى يا ( غالا ) .. ابتعدى .. غادري البرج كله ..  
إنه أمر ملكي .

تقافز غضب هائل من عيني ( غالا ) ، قبل أن تقول في  
حدة :

— أمرك يا مولاي .

واندفعت تغادر المكان كعاصفة هوجاء ، وخلفها العجوز  
( شواهي ) ، التي رمقت ( فارس ) بنظرة مقيبة قبل أن  
تنصرف ، وهتفت الأميرة فور انصرافهما :

— هل أرسلك أبي ؟

أجابها ( فارس ) في هدوء :

— نعم يا أميري .. وسنعود إليه معًا بإذن الله .

ثم اعتدل مستطرذاً في حزم :

— والآن أديرى وجهك يا أميري .

سألته في دهشة :

— لماذا ؟



انقضت عليها العجوز

( شواهي ) من الخلف ،

وكبلتها بساعديها في قوة ..

انتزع ثيابه من بين يدي الوصيف ، وهو يقول :  
— لأننى أحب أن تغادر هذا الحصن ، وأنا أرتدى الزئى  
الذى أفخر به .

أدارت الأميرة عينيها ، وقد تورّد وجهها خجلاً ، وراح هو  
يرتدى زيه الأبيض ، ذا الحرملة الخضراء ، والنطاق  
الأخضر ..

زى الفارس ..

( فارس الأندلس ) ..

\*\*\*

لم يتوقّف ( قاسم ) عن إطلاق السهام المشتعلة نحو  
الحصن ، على الرغم من صليل السيوف خلفه و ( مهاب )  
و ( فاسكو ) يتبارزان فى إصرار وقوة وعزم ، وسيفاهما  
يتقارعان فى عنف ، ويتباعدان فى حزم ، و ( فاسكو ) يقول فى  
عصية :

— من الواضح أنك لم تتوقف عن التدريبات  
يا ( مهاب ) ، فلقد ازدادت قوتك عن ذى قبل .

أجابه ( مهاب ) ، وهو يضرب سيفه فى قوة :

— بل أنت ازددت ضعفاً يا ( فاسكو ) ، فحياة الدعة  
التي تحياها تذيب القدرة على الإمساك بالسيف .

راوغ ( فاسكو ) ضربته ، ودفع سيفه نحوه ، قائلاً :  
— تتحدّث كما لو أننى أنا الذى هرب ، فى لقائنا السابق .  
تفادى ( مهاب ) ضربته ، وضرب سيفه جانباً ، وهو  
يقول فى حدة :

— لا تنس أننى لم أهرب من أمامك يا ( فاسكو ) ، وإنما  
غادرت الحصن بناءً على أوامر الأمير ، وهو يلفظ أنفاسه  
الأخيرة ..

أطلق ( فاسكو ) ضحكة قصيرة ، وقال :

— آه .. أتذكر هذا .. لقد هربت مع الوزير ؛ لإنقاذ  
الرضيع .. أليس كذلك ؟

أجابه ( مهاب ) ، وهو يتراجع متفادياً ذبابة سيف  
( فاسكو ) :

— بلى يا ( فاسكو ) .. وهذا الرضيع سيديكمم أمر  
الهزائم فى المستقبل .

صرخ ( فاسكو ) :

— هراء ..

ثم قفز نحو ( مهاب ) ، واستغل فجوة نحو صدره ، أطلق  
فيها سيفه ، صارخاً :



— إنك لن تشهد مستقبلًا أيها العربي .. مستقبلك ينتهي هنا .  
وطعن ..

\*\*\*

ارتجف الملك غضبًا وانفعالًا ، وهو يهبط أمام ( فارس )  
والأميرة إلى ساحة الحصن ..

واستعاد ذهنه ذكريات قديمة رهيبة ..

ذكريات بعثها في نفسه مرأى ( فارس ) ، في ذلك الزى  
الأبيض ، والحرملة الخضراء والخوذة الفضية ..  
وقفز به عقله عشرين عامًا إلى الوراء ..

ورأى نفسه في البهو الملكي ، يبارز أميرًا عربيًا ، يرتدى  
نفس هذا الزى ..

وله نفس الملامح ..

وكانت المبارزة رهيبة ..

وكاد هو يلقي مصرعه ، بسيف ذلك الأمير العربي ..

نفس السيف القوي ، ذى المقبض الأخضر ، والغمد  
والنطاق الأخضرين ، اللذين يتمنطق بهما ( فارس ) ..

وتذكر كيف انقضَّ ( فاسكو ) على الأمير من الخلف ،  
وطعنه في ظهره ..

نعم .. في ظهره ..

تلاشت كل الذكريات من رأسه ، عندما أصبح داخل  
الساحة .. أمام جنوده ، الذين سادهم الوجوم ، وهم يحدقون  
في مليكهم ، وعربي أبيض الزى يقوده أمامه ، وسيفه يهدد  
عنقه ، والأميرة العربية إلى جواره ..

ولكن ( فارس ) عنق الملك بذبابة سيفه ، وهو يقول في

حزم :

— مر فرسانك بفتح الأبواب .

رفع الملك كفه ، وقال في سخط :

— افتحوا الأبواب .

وعلى الرغم من حنقهم ، رفع الجنود الباب المعدني  
للحصن ، وأنزلوا ذلك الجسر الخشبي ، الذي يفصله عن  
الأرض ، عبر خندق ضخم يحيط به ، ويملؤه الماء حتى قمته ..

وقال الملك في مرارة :

— لا تتصور أن خروجك من هنا يعني نجاتك أيها العربي .

أجابه ( فارس ) في حزم :

— قلت لك لا تشغل نفسك بأمرى أيها الملك .

وبحث بعينه عن جواده ( رفيق ) في سرعة ، ولم يكذبصره

يقع عليه ، حتى ابتسم في حنان وهتف :

— إلى يا ( رفيق ) .

أطلق الجواد العربي سهيلاً يشف عن سعادته برؤية  
فارسه ، وضرب الأرض بجوافره في جذل ، ثم انطلق نحو  
( فارس ) ، وتوقف أمامه وراح يمسح عنقه بصدره ، ومعرفته  
البيضاء الناصعة تتطاير على وجه ( فارس ) وصدره ، فضحك  
( فارس ) ، وربت على عنق الجواد ، مغمغماً :

— نعم يا صديقي .. إنه أنا .. لقد التقينا مرة أخرى .

تطلعت إليه ( جميلة ) في دهشة ، وهو يفعل هذا ..  
لقد أدهشها أن يمتلك كل الجرأة والجسارة ، وكل الرقة  
والحنان في آن واحد ..

كان أغرب شاب التقت به في حياتها كلها ..

وأكثرهم وسامة ..

ثم ارتفع حاجباها في دهشة ، وشاركها ( فرناندو ) وكل  
فرسانه دهشتها ، عندما انتزع ( فارس ) السرج الرث عن  
جواده ، ومزق عنانه البالي ، فهتف ( فرناندو ) :

— هل ستمتطي جوادك هكذا ؟ .. دون سرج أو لجام ؟

أجابته ( فارس ) ، وهو يربت على عنق الجواد في اعتزاز :

— هكذا أفعل طيلة عمري .

ثم التفت إلى الأميرة ، وحملها بين ذراعيه في قوة ، كما لو  
كانت طفلة صغيرة ، وهو يقول :

— هيا .. النساء أولاً .

ووضعها على ظهر الجواد ..

وكان هذا هو الخطأ الذي ارتكبه ..

إن حمل الأميرة ، ووضعها على الجواد ، كان يستلزم

استخدام ذراعيه في آن واحد ..

ومن الخطأ أن يفعل هذا ، وهو يقف في قلب أعدائه ..

ولقد انتهر ( فرناندو ) هذه الفرصة النادرة ، فانطلق يعدو

فجأة ، صائخاً في رجاله :

— أمسكوا به يارجال .. اقتلوه .. اقتلوهما معاً .

وفجأة وجد ( فارس ) نفسه وحده ، في مواجهة جيش

جرار ..

وفي مواجهة الموت ..

\*\*\*

انعقد حاجبا ( قاسم ) ، وهو يتابع الموقف في ساحة الحصن ، في إهتمام شديد ، منذ ظهر فيها الملك ، وخلفه ( فارس ) والأميرة ..

وجذب الموقف انتباهه في شدة ، حتى أنه قد نسي تلك المبارزة المحتدمة خلفه ، ولم يعد يسمع قرقعة السيوف ، ولا صوت ( فاسكو ) ، وهو يلهث قائلاً :

— اشتدّ ساعدك كثيراً يا ( مهاب ) ، ولكن صحتك لم تشتدّ بالقدر نفسه .

أجابه ( مهاب ) ، وهو ينحني جانباً ، متفادياً ضربة من سيفه :

— هل ترى ذلك حقاً ؟

قالها ودار حول نفسه في حركة أنيقة رشيقة ، ثم أطلق سيفه في حركة موجية سريعة ، وانتزع سيف ( فاسكو ) من يده ، وأطاح به بعيداً ، ثم اعتدل في ظفر ، وأعاد سيفه إلى جواره ، وهو يقول لـ ( فاسكو ) ، الذي احتقن وجهه في سخط :

— مارأيك يا قائد الحرس الملكي ؟

هتف ( فاسكو ) في مرارة :

— اقتلني يا ( مهاب ) .. اقتلني كما تقتضى القواعد .

هزّ ( مهاب ) رأسه نفيّاً ، وقال :

— قواعدكم أنتم لا قواعدنا نحن أيها القشتالي ، فمبادئنا

تقول : « العفو عند المقدرة » ، وأنا أعفو عنك

يا ( فاسكو ) .. اذهب .

ازداد احتقان وجه ( فاسكو ) ، وهتف :

— لا يا ( مهاب ) .. لن تعفو عني ، كما يعفو السيد عن

عبده .

ثم انقضّ عليه في شراسة ، هاتفاً :

— ستقتلني يا ( مهاب ) .. ستقتلني على الرغم منك .

ولكن ( مهاب ) تفادى انقضاضته في مرونة ، وأدار سيفه

في سرعة ، ثم هوى بمقبضه على مؤخره عنق ( فاسكو ) ،

قائلاً :

— معذرة يا ( فاسكو ) .

انفضّ جسد ( فاسكو ) كله ، عندما تلقى الضربة ، ثم

سقط قائد الحرس الملكي القشتالي عند قدمي ( مهاب ) ،

الذي استطرد في حزم :

— لن أمنحك نعمة الموت أبداً .. ستحيا بإذن الله ، حاملاً  
عار هزيمتك .

التفت إليه ( قاسم ) في هذه اللحظة ، وهتف في انفعال :  
— لقد ابتعد الملك عدواً ، وترك ( فارس ) والأميرة في  
مواجهة جيشه كله ، وسط ساحة الحصن .

التفت إليه ( مهاب ) في انزعاج ، ثم قفز نحوه ، واختطف  
قوسه ونشابهه ، وهتف :

— هذا يعنى أن لحظتنا القسوى قد حانت يا رجل ..  
وأطلق كل منهما سهمه ..

\*\*\*

هوى قلب الأميرة ( جميلة ) بين قدميها ، عندما رأت الملك  
( فرناندو الخامس ) يجرى مبتعداً ، وجيشه كله يندفع نحوها  
ونحو ( فارس ) ، واحتبست صرخة في حلقها ، عجزت عن  
الانطلاق من حلقها ، في حين صرخ ( فارس ) :  
— انطلق يا ( رفيق ) .

قالها وهو يتشبث بمعرفة جواده العربي الأصيل ، وخيل  
للجميع أن الجواد قد انطلق بالفعل ، قبل أن يشب ( فارس )  
فوق ظهره ، وعلى الرغم من هذا .. وعلى الرغم من أنه لم يكن

يستقر على سرج ، أو يمسك بعنان ، استقر ( فارس ) على ظهر  
جواده تماماً ، أمام الأميرة ( جميلة ) ، وهتف بها وهو يمسك  
معرفة الجواد يسراه ، ويقبض على مقبض سيفه بيمنه :  
— تشبثي جيداً .

أحاطت الأميرة وسطه بذراعيها في قوة ، وتشبثت به  
في إصرار ..

وانطلق الجواد ..

وانطلق معه سيف ( فارس ) ..

كان الاثنان أكثر من رائعين ..

الفارس والجواد ..

الجواد كان يشق الصفوف في شجاعة ، غير مبال بالسيوف  
المشهورة في وجهه ، ولا بصراخ الجنود ، ويحاور ويناور في  
براعة منقطعة النظير ، ورشاقة تثير الحسد ..

والفارس يقود الجواد ، ويضرب بسيفه يمنة ويسرة ، في  
قوة مذهبة ، ومرونة مذهلة ، وجرأة بلا حدود ..

وصرخ الملك :

— اقتلوه .. ارفعوا الأبواب .. أغلقوا الحصن ..

اندفع مزيد من الجنود نحو ( فارس ) ، وبدأ حارسا البوابة  
يرفعان الجسر الخشبي ، وينزلان الباب الحديدى ..

ثم هوت سيهام ( قاسم ) و ( مهاب ) على الرءوس ..

وتعالت صرخات الجنود ..

وهتف ( فارس ) في الأميرة :

— اخفضي رأسك .

خفضت رأسها على نحو غريزي ، فور سماعها عبارته ،

وزادت من تشبثها به ، في حين انحنى هو أيضًا ، وهتف :

— اعبر يا ( رفيق ) .. اعبر ..

وكالسهم ، عبر ( رفيق ) براكييه أسفل الباب الحديدي ،

ثم انطلق يعدو كالرّمح فوق الجسر ، الذي يرتفع تدريجيًا عن

الأرض ..

وفي اللحظة المناسبة جذب ( فارس ) معرفة ( رفيق ) ،

وهتف في حماس :

— الآن يا ( رفيق ) ..

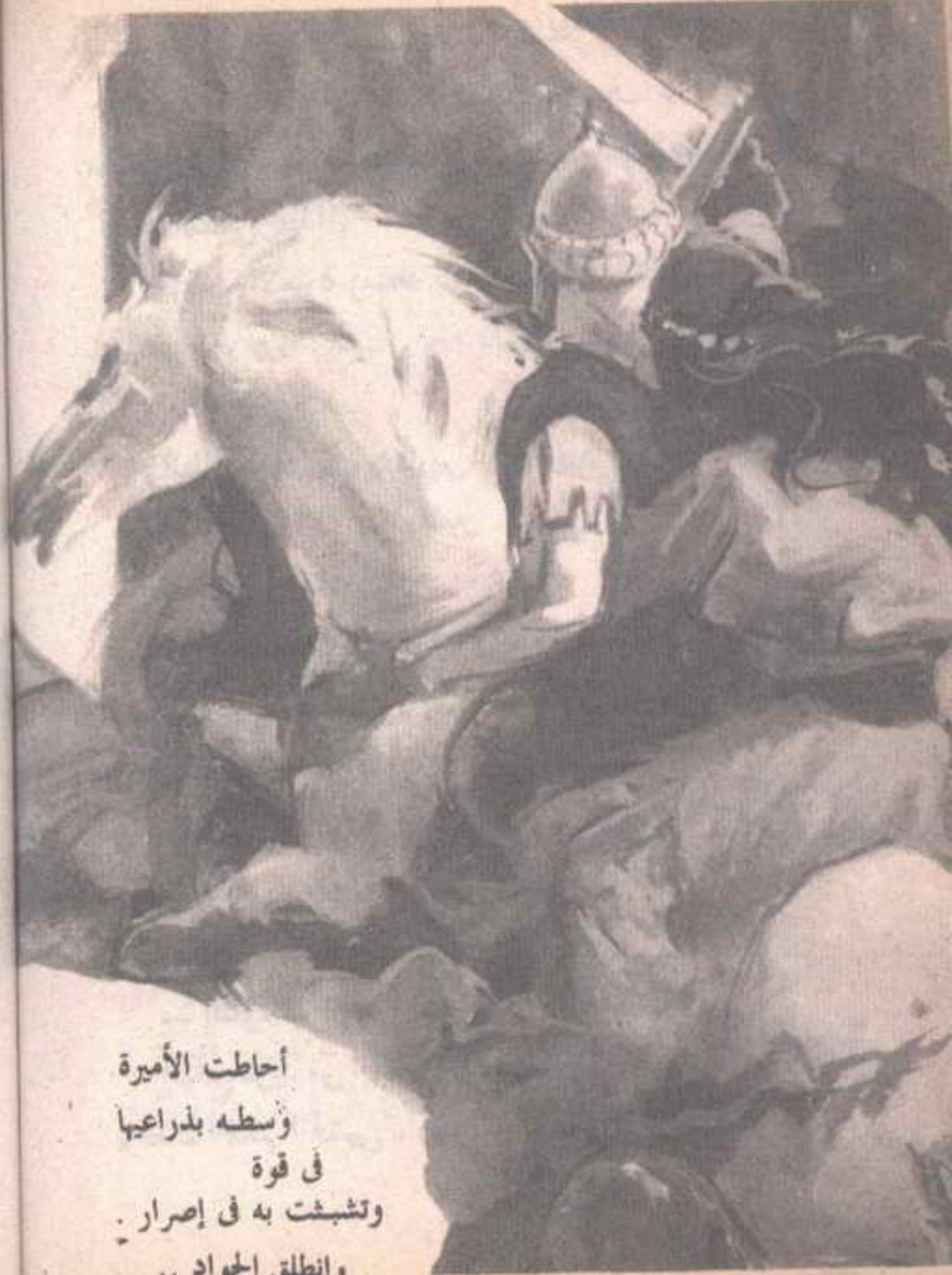
واتسعت عينا الأميرة في رعب ، وأطلقت شهقة رهيبة ،

عندما وثب ( رفيق ) عبر الخندق ، وبدأ وكأنه جوادًا أسطوري

مجنّح ، يسبح في الهواء ، على نحو أجم كل فرسان ( فرناندو ) ،

وفتح عيونهم عن آخرها انبهارًا ، قبل أن يهبط على قوائمه ، على

الجانب الآخر من الخندق ، ثم ينطلق براكييه مبتعدًا ..



أحاطت الأميرة

وسطه بذراعيها

في قوة

وتشبثت به في إصرار :

وانطلق الجواد ..

وصرخ الملك :

— لا تركوه يهرب .. انطلقوا خلفه ..

قفز الجنود على ظهور جيادهم ، وانطلقوا بها خلف  
( فارس ) ، وانهالت عليهم سيهات ( قاسم ) و ( مهاب )  
كالطر ، وأسقطت منهم العشرات ، ولكن الآخرين واصلوا  
المطاردة ، والملك يصرخ كالجنون :  
— الحقوا به .. لا تركوه يهرب .. شرف ( قشتالة ) كله  
بين أيديكم .

وبدأت مطاردة رهية ..

مطاردة موت ..

\*\*\*

هتف ( قاسم ) في سعادة ، عندما رأى ( فارس ) يعدو على  
متن جواده ، وخلفه الأميرة ، خارج الحصن :  
— لقد انتصر فارسك يا ( مهاب ) .. لقد أنقذ الأميرة ،  
وغادر الحصن معها .

هت ( مهاب ) من مكانه ، هاتفاً :

— ليس بعد .

قال ( قاسم ) :

— ولكنه ربح بالفعل .. ألم تره وقد ..

قاطعته ( مهاب ) ، وهو يسرع الخطا مبتعداً :

— مازال الطريق من هنا إلى ( غرناطة ) طويلاً كالدهر ،  
وجنود ( فرناندو ) و ( إيزابيلا ) يصطفون فيه كجيش جرار .  
ابتسم ( قاسم ) ، وهو يلحق به ، قائلاً :  
— اطمئن يا صديقي .. لن يكون ذلك الأمر عسيراً .  
سأله ( مهاب ) ، وهو يقفز على صهوة جواده :  
— كيف يا صديقي ؟

أطلق ( قاسم ) ضحكة طويلة ، وقال :

— أنسيت أنني ملك ( قرطبة ) غير المتوج يا رجل ؟ .. لقد  
اتخذت ما يلزم لعرقلة القشتاليين ، حتى يبلغ فارسك حدود  
( غرناطة ) .

ترقّف ( مهاب ) ، والتفت إليه يسأله في لهفة :

— حقاً يا ( قاسم ) ؟!

لم يكذب يتم عبارته ، حتى اتسعت عيناه في ذعر ، وهتف :

— ابتعد يا ( قاسم ) .

ولكن صرخته أتت متأخرة ..

لقد استعاد ( فاسكو ) وعيه ..

ونهب بكل روح الغدر في أعماقه ..

وطعن ( قاسم ) في ظهره ..

في موضع القلب تمامًا ..

\*\*\*

تشبثت ( جميلة ) بـ ( فارس ) في شدة ، وهتفت والخوف

يملاً كل خلية من خلايا روحها :

— إنهم يطاردوننا .. سيلحقون بنا حتماً .

قال في حزم :

— لا.. ليس ونحن على ظهر ( رفيق ) .

هتفت مذعورة :

— إنه مجرد جواد .

أجابها في صرامة :

— بل هو أفضل جواد في ( الأندلس ) كلها .

التفتت تتطلع إلى الجنود ، الذين يطاردونهما في إصرار ،

وخيل إليها أنهم يقتربون أكثر وأكثر ، فقالت وهي ترتجف :

— أتعثم أن يثبت هذا .

ثم أضافت في رعب :

— في هذه الدنيا .

١١٠

لكز ( فارس ) جواده ، وهو يقول :

— هل تسمع يا ( رفيق ) ؟ .. لقد أصبحت مسألة كرامة

يا صديقي .

انطلق من خلفه نفير حربي ، تردّد صداه في المنطقة كلها ،

فهتفت ( جميلة ) :

— ما الذي يعنيه هذا بالضبط ؟

أجابها في صوت لم يحل من رنة قلق :

— سنعلم بعد قليل .

لم يكذ يتم عبارته حتى تناهى إلى مسامعهما وقع حوافر

جواد تقترب منهما ، من الناحية الأخرى ، فأضاف في توتر :

— لقد علمت .

ومن أمامهما برز فريق القشتاليين الثاني ..

لقد وقع ( فارس ) ..

وقع بين المطرقة والسندان ..

\*\*\*

١١١

## ٩ - فارس الأندلس ..

جحظت عينا ( قاسم ) ، وتفجرت الدماء من حلقه ، ثم  
ترنح ، وسقط على وجهه ، فقفز ( مهاب ) عن صهوة جواده  
هاتفًا :

— ( قاسم ) !!

تراجع ( فاسكو ) وخنجره يقطر دمًا في قبضته ، وتجاهله  
( مهاب ) تمامًا ، وهو ينحنى على ( قاسم ) ، ويديره إليه  
هاتفًا :

— ماذا أصابك يا صديقي ؟ .. أجب .

حاول ( قاسم ) أن يتسم في صعوبة ، ولكنه عجز عن  
هذا ، وهو يتمم :

— إنها النهاية الطبيعية لأمثالنا يا صديقي .. طعنة في الظهر  
من قشتالي خائن .. لقد طعنني في القلب مباشرة .

قال ( مهاب ) في مرارة :

— ربّما ليس في القلب يارجل .. إنك ما زالت تتحدّث ،  
وربّما لو ..

قاطع ( قاسم ) بابتسامة متهاككة ، وهو يقول :  
— لا يارجل .. ألم تقرأ ما كتبه ( ابن النفيس ) (\*) ؟ .. إن  
للقلب أربع حجرات ، اثنتان منها لا يوقفهما الطعن على  
الفور .

تدفقت من حلقه بقعة دم أخرى ، سعل بعدها ، وأكمل :  
— كل ما يؤلمني هو أن عودتك قد أذكت روح الحماس في  
قلبي ، وجعلتني أتمنى لو ألقى مصرعى في قتال ، بدلًا من الموت  
غيلة على هذا النحو ، و.....

بتر عبارته بغتة ، وأطلق بدلًا منها شهقة قوية ، ثم استكان  
جسده ، وخذت أنفاسه كلها ..

وبكل الغضب والحنق والمرارة في أعماقه ، التفت  
( مهاب ) إلى ( فاسكو ) ، الذي وقف هادئًا ، يراقب هذا ،  
وعيناه تلتصقان ببريق عجيب ، وقال :

— لماذا فعلت هذا أيها القشتالي ؟

أجابه ( فاسكو ) في غلظة :

— كنت أخلى الساحة أيها العربي .

(\*) على بن أبي الحزم القرشي ابن النفيس : توفى عام ١٢٨٨ م ،  
وهو أحد أشهر أطباء ( دمشق ) ، وصاحب سبق كشف الدورة الدموية  
الرئوية ، وأول من وصفها وصفًا علميًا سليمًا ، وله كتب عديدة في  
الطب ، من أشهرها كتاب ( الشامل ) .



ثم انحنى يلتقط سيفه ، ورفع أمام وجهه ، مستطرذا في  
بغض :

— أخليها لقتال أخير بيننا .. قتال لن يحسمه إلا الموت .  
بادله ( مهاب ) نظرة الكراهية والمقت ، ثم استل سيفه ،  
وقال :

— فليكن أيها القشتالي .. ستكون المبارزة بيننا هذه المرة  
من أجل دماء ( قاسم ) .  
وشهر سيفه مستطرذا في غضب :  
— ستكون مبارزة حتى الموت .  
والتقى سيفاهما ..

\*\*\*

كان الموقف دقيقًا بحق ، بالنسبة لـ ( فارس ) والأميرة ،  
والقشتاليون يحاصرونهما من الأمام والخلف ، فهتفت الأميرة  
في يأس :

— لقد وقعنا .  
ولكن فجأة سمع ( فارس ) صوتًا عميقًا حاسمًا يهتف به :  
— إلى اليمين .

ودون تفكير ، جذب معرفة ( رفيق ) إلى اليمين ..



وبكل الغضب والحنق والمرارة في  
اعماقه ، التفت ( مهاب ) إلى  
( فاسكو ) ، الذي وقف هادئًا ..

وانحرف الجواد مستجيباً لفارسه ، في لمح البصر ..

ما من جواد عاды يمكنه هذا ..

فقط جواد عربي أصيل كـ ( رفيق ) ..

جواد فارس ..

انحرف الجواد براكييه في طريق جانبي ضيق ، وهتف

( فارس ) ، عندما وقع بصره على الفارس الأسود ، الذي

يمتطي جواذاً أكثر سواداً ، في نهاية الطريق الضيق :

— يارب الكون .. إنه هو .

هتفت الأميرة ، وهي تزداد تشبهاً به :

— من هو ؟

هتف بكل سعادته :

— ( فهد ) .

أدار ( فهد ) عنق جواده في هذه اللحظة ، وأشار

لـ ( فارس ) أن يتبعه ..

وانطلق ( فارس ) والأميرة خلف ( فهد ) ..

وراح الجوادان ينحنيان وينحرفان عبر شبكة شديدة

التعقيد من الطرق ، حتى هتفت ( جميلة ) :

— لم أعد أسمع وقع حوافر جياد القشتاليين خلفنا .

أجابها ( فارس ) مبتهجاً :

— لا ريب أنهم قد فقدوا أثرنا .. أنا نفسي أعجز عن

العودة ، عبر نفس المنحنيات المعقدة ، التي اجتزناها الآن .

استمر يتتبع ( فهد ) لبعض الوقت في صمت ، حتى توقف

الزنجي ، وأشار إليه بالوقوف ، فاتجه إليه ( فارس ) بجواده ،

وهتف :

— أنت رائع يا صديقي .. لقد أنقذتنا .

انحنى ( فهد ) أمامه تلك الانحناءة القصيرة ، ثم ناوله رقعة

صغيرة ، التقطها ( فارس ) من يده ، وأسرع يفضها ، ثم قال في

اهتمام :

— إنها خريطة .

أوماً ( فهد ) برأسه إيجاباً ، ثم راح يشير بيده في سرعة ،

فسألت ( جميلة ) في حيرة :

— ماذا يقول ؟

أجابها ( فارس ) :

— يقول إننا لو اتبعنا هذه الخريطة ، فسنجد أمامنا طريقاً

مفتوحاً ، يجعلنا نبلغ ( غرناطة ) عند الفجر ، دون أن نلتقي

بجندى قشتالي واحد .

سألته في دهشة :

— كيف يعلم هذا ؟

ابتسم وأجاب :

— ( فهد ) يعرف كل شيء .

ثم ربت على كتف ( فهد ) في حرارة ، وقال :

— ستبعب الخريطة يا صديقي .. اطمئن .

المنحنى ( فهد ) أمامه مرة أخرى ، ثم جذب عنان جواده ،

ولكزه بكعبيه في رفق ، وانطلق به مبتعدًا ، حتى غاب وسط

الظلام ، فهتفت ( جميلة ) في دهشة :

— أهو أبكم ؟

أجابها ( فارس ) ، وهو يجذب معرفة ( رفيق ) ؛ لينطلق به

بدوره :

— أبكم وأصم .

سألته في حيرة :

— من طلب منا أن نتجه إلى اليمين إذن ؟

صمت لحظات مفكرًا في هذه النقطة ، التي غابت عن ذهنه

لحظتها ، ثم أجاب :

— هو على الأرجح .

هتفت في دهشة بالغة :

— ألم تقل إنه أبكم أصم ؟

انطلق بالجواد ، وسط ظلام ( قرطبة ) ، وهو يقول :

— أميرقي العزيزة .. افعلني مثلي .

قالت في دهشة وحيرة :

— أفعل ماذا ؟

ابتسم وهو يجيبها :

— لا تجعلني شيئًا يدهشك .

وزاد من سرعة ( رفيق ) ..

\*\*\*

اقتحمت الملكة ( إيزابيلا ) جناح الملك ( فرناندو ) في

غضب ، وهي تهتف :

— أي عار هذا يا ملك الملوك ؟ .. كيف ينفذ عرني إلى

حصننا ، وينتزع منه أسيرتنا أمام أعيننا جميعًا ، ثم يختفي في قلب

( قرطبة ) ؟

ارتشف ( فرناندو ) رشفة من كأس الخمر بين يديه ،

وقال في حدة :

— لكل جواد كبوة .

صاحت :

— إنها ليست كبوة ، بل نكسة .. مصيبة .. لقد ..

صرخ بها بغتة :

— اصمتي .

حدقت في وجهه ذاهلة ، فأضاف في عصبية بالغة :

— أتظنين أن هذا يروق لي ؟ .. إنه أمر يحرق أعصابي ويمزق

مرارتي أيضا .. ولكن ماذا أفعل ؟ كل ما أملكه هو أن أمنع

حدوث هذا في المستقبل ، وأن أضاعف من إجراءات الأمن ،

.....

قاطعته محتدة :

— وأن تقلل قليلا من فضولك ، الذي جعلك تستدعي

ذلك العربي إلى بهوك الملكى ، فلو لم تفعل ما حدث كل هذا .

رمقها بنظرة نارية ، وهو يقول :

— أمكذا أخبرتك جاسوستك ( غاللا ) ؟

هتفت به :

— ( غاللا ) هذه هي الوحيدة التي أتت فعلا إيجابيا ، وسط

كل هذه الأحداث ، وكانت ستقتل الأميرة العربية ، لولا

أوامرك .

قال في حدة :

— لو سقط رأس الأميرة ، لسقط رأسى خلفه .. أهذا

ما كنت تتمنيه ؟

قالت في سخط :

— ربّما .

واستدارت تغادر المكان في غضب ، ولكنها توقفت عند

بابه ، والتفتت إلى الملك ، تقول :

— لتعلم أن ( غاللا ) قد أقسمت على الانتقام من ذلك

الفارس العربى ، حتى ولو ذهبت خلفه إلى ( غرناطة ) .

قال في لهجة تجمع ما بين السخرية والمرارة :

— كلنا نأمل هذا .

رفعت رأسها في كبرياء ، وغادرت جناحه في حدة ، فكرر

في مرارة :

— نعم .. كلنا نأمل هذا .

وحطّم كأسه على الأرض في عنف ..

\*\*\*

كانت الشمس تشرق في الأفق ، والأميرة ( جميلة ) تشعر

بتهالك شديد ، بعد عدو الجواد بها وب ( فارس ) طيلة الليل ،

حتى أنها لم تستوعب أول عبارة يوجهها إليها ( فارس ) ، منذ

افترقا عن ( فهد ) ، فسألته :

— ماذا تقول ؟

قال في حماس :

— سألتك هل الهواء هنا مختلف ؟

سأله في دهشة :

— وهل ينبغي أن يكون كذلك ؟

أطلق ضحكة ارتياح ، وهتف :

— بالطبع يا أميرتي .. إنك تتسمين الآن هواءً عربيًا .

هتفت في فرح أطار كل الانهاك من جسدها :

— حقًا ؟!

صاح في سعادة :

— نعم يا أميرتي .. لقد عبرنا حدود ( قرطبة ) منذ قليل ..

إننا الآن في ( غرناطة ) .. في مملكة ( الأندلس الصغرى ) ..

انهمرت دموع الفرح من عينيها ، وهي تهتف :

— يا إلهي !.. لقد عدت إلى موطني .. لقد نجوت ..

يا إلهي !

شعر بدموعها وكأنها تنهمر في قلبه ، فأوقف جواده ،

والتفت إليها يقول في حنان وإشفاق :

— أتبكين أيتها الأميرة ؟

أشاحت بوجهها عنه ، وكأنما تأبى عليها كرامتها أن يرى  
دموعها ، وأجابت :

— لم أتصور أبدًا أنني سأعود إلى أبي سالمة .

ابتسم مغمغماً :

— لا يوجد مستحيل يا أميرتي .

لأول مرة ينتبه إلى جمالها الفتان ..

إلى حسنها العربي ..

إلى رقتها وأنوئتها ..

ولأول مرة في عمره ، شعر بقلبه يخفق ..

وامتزجت خفقاته بخفقاتها ..

هي أيضًا وجدت فيه الفارس ..

فارس أحلامها ..

وتورّدت وجنتاها خجلاً ، بجرّد أن هذا قد لاح بخاطرها ..

ولاذت بالصمت ..

كلاهما لاذ بالصمت ..

وانطوى جبهما في قلوبهما ..

وفجأة هتفت الأميرة :

— انظر هناك .

أدار عينيه إلى حيث تشير ، ورأى عند قرص الشمس فارسًا  
يعدو على ظهر جواد ، متجهًا إليهما ، ولكنه لم يستطع تمييز  
ملاح الفارس جيدًا ، من هذه المسافة ، فغمغم :

— ربما هو ( فهد ) .. لقد تبعنا ؛ لحماية كالمعتاد .

راحت ملاح الفارس تتضح تدريجيًا ، فهتف في سعادة :

— إنه ( مهاب ) ..

لحق بهما ( مهاب ) بعد قليل ، وابتسم في تهالك ، وهو

يقول :

— أرى أنك قد نجحت في مهمتك يا فتى .

هتف به ( فارس ) :

— ولكنك مصاب في ذراعك .. ماذا حدث ؟

هزّ ( مهاب ) كتفيه وقال في هدوء :

— إنه جرح بسيط ، فلقد تبارزت مع ( فاسكو ) ، قائد

الحرس الملكي .

سأله في اهتمام :

— وكيف انتهت المباراة ؟

صمت ( مهاب ) لحظات ، وهو يلتفت متطلعًا إلى

الخلف ، حيث ( قرطبة ) ، ثم قال في هدوء وحسم :

— سيكون على ( فرناندو ) أن يختار قائدًا جديدًا للحرس .

أومأ ( فارس ) برأسه متفهمًا ، في حين قالت ( جميلة ) في

ضيق :

— أيتحتم أن تكون حياتكم كلها على هذا النحو ؟

غمغم ( مهاب ) :

— إنه قدرنا .

التفتت إلى ( فارس ) ، وسألته في خفوت :

— أهذا صحيح ؟

تطلّع إليها في ود واضح ، وهو يجيب :

— بالتأكيد .. فقدرى أن ألتقى بك ..

تورّدت وجنتاها في خجل ، وخفضت عينيها في حياء ،

ولكن ابتسامتها شفت عن ذلك الشعور ، الذي يخفق به قلبها ،

فابتسم ( مهاب ) في حنان ، وهو ينقل بصره بين وجهيهما ، ثم

ربت على كتف ( فارس ) ، وقال :

— هيا بنا ، فلا ريب أنهم ينتظرون عودة الأميرة على أحرّ

من الجمر .

ولكن ( فارس ) بدا وكأنه لم يسمعه ، فسأله في قلق :

— ماذا هناك ؟

وانطلق الموكب الصغير على متن جوادين ، عائداً إلى آخر  
أرض للعرب في جنة ( الأندلس ) ..  
وأعلن التاريخ نجاح مهمة جديدة للفرس ..  
فرس كل العصور ..  
( فرس الأندلس )

\*\*\*



اضطر أن يكرر سؤاله مرتين ، قبل أن يلتفت إليه  
( فرس ) ، قائلاً :  
— معذرة ، كان هناك ما يجذب انتباهي في شدة .  
سأله في دهشة :  
— ماهو ؟  
التفت مشيراً إلى قرص الشمس ، الذي بدأ يصعد من  
خلف التلال في الأفق ، قائلاً :  
— ماهوذا .  
رفع ( مهاب ) عينيه إلى حيث يشير ( فرس ) ، ورأى  
مارآه ..  
من بعيد ، كان يبدو ( فهد ) على جواده ، فوق التل ، وقد  
بدا قرص الشمس وكأنها يحيط بهما ، تاركاً منهما ظلاً  
أسود فحسب ..  
ثم جذب ( فهد ) عنان جواده ، واختفى به خلف التل ،  
فغمغم ( فرس ) :  
— كالمعتاد .  
وجذب معرفة جواده بدوره ، مستطرداً :  
— هيا بنا .



# فارس الأندلس

من البطولات العربية  
في أخرج فترة للعرب في أسبانيا

## الأميرة الأسيرة

- في إطار الحرب القائمة ، اختطف القشتاليون الأميرة ( جميلة ) ، ابنة ملك ( غرناطة ) ، وأسروها في ( قرطبة ) ، وكان على ( فارس ) أن يسعى لاستعادتها ، في قلب أرض العدو ، ومن أقوى حصونهم في ( قرطبة ) ، فهل ينجح ( فارس الأندلس ) ؟ ..  
وهل يستعيد الأميرة .. ( الأميرة الأسيرة ) ؟ ..

السيف الذهبي

الرواية القادمة :

المؤلف



د. نبيل فاروق



الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة  
للطباعة والنشر والتوزيع  
١٠٠ شارع سلفه بالعاصمة - الجزائر - ٩٠٠٠٠٠

التمن في  
وما يعادله با  
في سائر الد

متبني الهادي